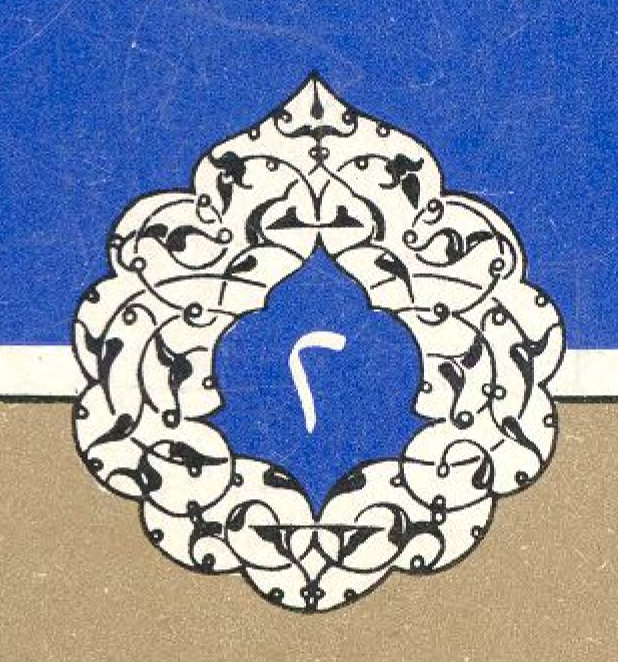
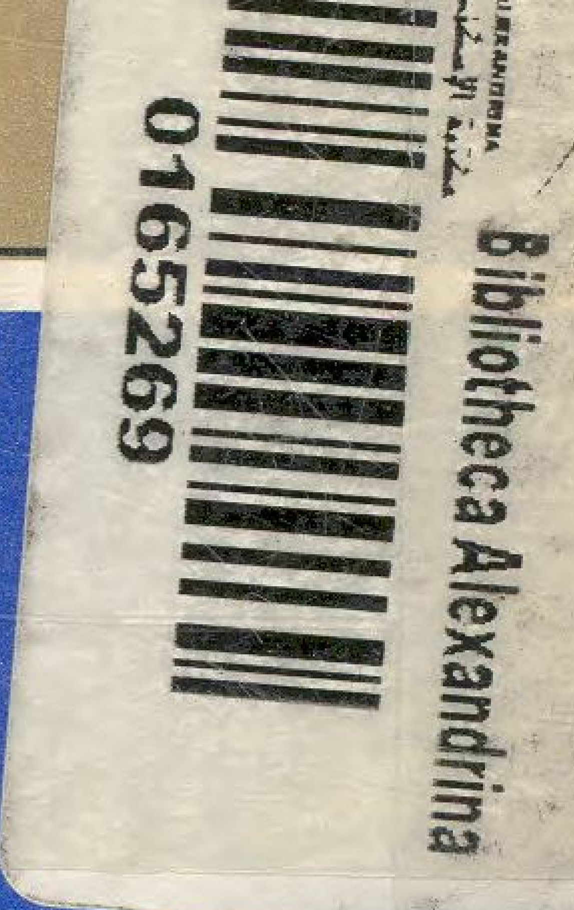
مجموعة كتب ورسائل
الشيخ حمد بن علي بن عتيق



سبيل النجاة والفكاك
من موالاة المرتدين وأهل الإشراك

عني بتصحيحه ومراجعته
إسماعيل بن سعد بن عتيق



دار القرآن الكريم
بيروت

اهداءات ٢٠٠١

الدكتور/ القطب محمد طبلية

القاهرة

سبيل النجاة والفكاك

من موالاة المرتدين وأهل الإشراك

طبع بأمر صاحب السمو الملكي

الأمير سلطان بن عبد العزيز

رئيس الهيئة العليا للدعوة الإسلامية

هدية من سموه لطلبة العلم أثابه الله خير الثواب

الطبعة الخامسة
بيروت ـ ١٤٠٠ هـ

مجموعة كتب ورسائل
الشيخ حمد بن علي بن عتيق
(٢)

سبيل النجاة والفكاك

من موالاة المرتدين وأهل الإشراك

عني بتصحيحه ومراجعته
إسماعيل بن سعد بن عتيق

دار القرآن الكريم
بيروت ص. ب. ٧٤٩٢

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب قَيِّماً بلا اعوجاج ، وجعله عصمة لمن تمسك به واعتمد عليه في الاحتجاج ، وأوجب فيه مقاطعة أهل الشرك بإيضاح الشرعة والمنهاج ، والصلاة والسلام على محمد الذي مزق الله ظلام الشرك بما معه من السراج ، وعلى آله وأصحابه الذين جاهدوا أهل الكفر وباينوهم من غير امتزاج .

أما بعد، فإني قد كنت تكلمت وشددت في النهي عن موالاة المشركين ودعوت من حولي من المسلمين إلى عداوة الكافرين ، ثم كتبت في ذلك بعض الآيات الدالة عليه مع كلمات قليلة من كلام بعض المحققين من أهل العلم والدين ، وكنت أظن أن من قرأ القرآن وآمن أنه كلام الله وأن الله تعبدنا بالعمل به والقيام إذا سمع ذلك أذعن له وانقاد وبادر إلى السمع والطاعة لحكمه لقول الله تعالى : ﴿ اتبعوا ما أُنزل إليكم من ربكم ولا تتبعوا من دونه أولياء قليلاً ما تذكَّرون ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ فلا وربك لا يؤمنون حتى

(١) سورة الأعراف ، الآية : ٣ .

يحكّموك فيما شَجَرَ بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ فإما يأتينَّكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى ، ومن أعرض عن ذكري فإن له معيشة ضَنْكا ، ونحشره يوم القيامة أعمى قال ربِّ لم حشرتني أعمى وقد كنت بصيراً ، قال كذلك أتتك آياتنا فنسيتها وكذلك اليوم تُنسى ﴾[٢] ، فحصل من بعض الجاهلين والمعاندين إنكارٌ لذلك وجحد لما أوجب الله الإقرار به والقيام ، فصار المنتسبون إلى العلم المدعون أنهم من طلبته في ذلك على أقسام :

طائفة منهم استحسنت المعارضة الجاهلة الضالة ورضيتها ، وإن لم تصرح بذلك فإنه ظاهر على وجوهها ، وطائفة كرهت المعارضة واستجهلت صاحبها لكنها لم تفعل ما أوجب الله عليها من رد ذلك والإنكار على سالكه ، ولولا ما وقع لهؤلاء ، لما كان المعارض مساوياً لمن يجاوبه ، فلأجل ذلك كتب شيخنا الشيخ عبدالرحمن بن حسن رسالة مفيدة في الرد على هذا المعارض نقض فيها أقواله نقضاً بديعاً ، وهي كافية في الرد عليه ، فصار شيخنا ، هو إمام الطائفة الرادّ لأقوال أهل الباطل المنكرة لها ، والله ناصر دينه ومظهره على الدين كله ولو كره الكافرون .

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٦٥ .

(٢) سورة طه ، الآيات : ١٢٣ ـ ١٢٩ .

ثم إني سأكتب إن شاء الله كلمات وفيها بيان ما وقع الغلط فيه ممن ينتسب إلى العلم لقول الله تعالى : ﴿ إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البيّنات والهدى من بعد ما بيّناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون ﴾[1]، وقوله تعالى : ﴿ وإذ أخذ الله ميثاق الذين أوتوا الكتاب لتبيننه للناس ولا تكتمونه فنبذوه وراء ظهورهم واشتروا به ثمناً قليلاً فبئس ما يشترون ﴾[2] .

وفيها وجوب معاداة الكفّار والمشركين ومقاطعتهم ، وفيها مما يصير به الرجل مرتداً ، وفيها ما يعذر الرجل به على موافقة المشركين ويظهر الطاعة لهم ، وفيها مسألة الاستضعاف ، وفيها وجوب الهجرة وأنها باقية .

وسميت هذا الكتاب (سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك) وأسأل الله تعالى أن يجعله مبنياً على الإخلاص وأن ينفع به من قرأه طالباً للنجاة والخلاص .

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١٥٩ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٨٧ .

فصل

اعلم أن الله سبحانه وتعالى بعث محمداً ﷺ بالهدى ودين الحق فبيّن للناس ما نزّل إليهم، فما من خير إلا دلهم عليه وعرفهم الطرق الموصلة إليه . وما من شر إلا حذرهم منه وسد عليهم أبوابه المفضية إليه .

ومن أعظم ذلك أنه أخبرهم أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، وأخبرهم بظهور الفتن التي كقطع الليل المظلم ، يصبح الرجل فيها مؤمناً ويمسي كافراً أو يمسي كافراً ويصبح مؤمناً ، يبيع دينه بعرض من الدنيا ، فكان وقوع هذا لما وقع هو وأمثاله من الأدلة على أنه رسول الله ومما أخبر به أن أمته تقاتل الترك ووصفهم بأنهم صغار العيون دلف الأنوف ، فكأن وجوههم المجان المطرقة ومعنى دلف الأنوف أنها قصار مبطحة ، والمجان جمع مجن وهو الترس ، أراد أن وجوههم مستديرة ناتئة وجنتها ، هذا معنى كلام البغوي في شرح السنّة فكان من حكمة الله وعدله أن سلطهم على المسلمين .

لما ظهرت فيهم الملة الحنيفية ، ودعوا إلى الطريقة المحمدية ، ولكن حصل من بعضهم ذنوب بها تسلطت هذه الدولة الكفرية ، فجرى ما هو ثابت في الأقدار الأزلية ، وإن

كانت لا تجيزه الأحكام الشرعية ، والله تعالى لا يسأل عما يفعل وهم يسألون ، وامتحن أهل الإسلام بأمور تشبه ما ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى ، في حادثة ظهور التتار في زمنه ، وهم بادية الترك ، فناسب أن نذكر بعض كلامه .

قال رحمه الله تعالى : فإن هذه الفتنة التي ابتلي بها المسلمون مع هذا العدو المفسد الخارج عن شريعة الإسلام ، قد جرى فيها شبه بما جرى للمسلمين مع عدوهم على عهد رسول الله ﷺ في المغازي التي أنزل الله فيها كتابه ، وابتلى بها نبيّه والمؤمنين مما هو أسوة لمن كان يرجو الله واليوم الآخر ، وذكر الله كثيراً ، إلى يوم القيامة ، فإن نصوص الكتاب والسنّة ، اللذين هما دعوة محمد ﷺ ، تتناول عموم الخلق بالعموم اللفظي ، وبالعموم المعنوي ، وعهود الله في كتابه وسنّته تتناول آخر هذه الأمة كما نالت أولها وإنما قص الله علينا قصص من قبلنا من الأمم ليكون عبرة لنا فنشبه حالنا بحالهم ، ونقيس أواخر الأمم بأوائلها ، فيكون المؤمن من المستأخرين شبه بما كان للمؤمن من المستقدمين ويكون الكافر والمنافق من المستأخرين شبه بما كان للكافر والمنافق من المستقدمين ، كما قال تعالى لما قص قصة يوسف مفصّلة وأجمل ذكر قَصَص الأنبياء ﴿ لقد كان في قصصهم عبرة لأولي الألباب ﴾[1] وقال لما ذكر قصة فرعون

---

(١) سورة يوسف ، الآية : ١١١ .

﴿ فأخــذه الله نكال الآخــرة والأولى إن في ذلك لعبــرة لمن يخشى﴾[1] ، وقال في محاصرة بني النضيـر ﴿ هـو الـذي أخـرج الذين كفروا من أهـل الكتـاب من ديارهم﴾[2] ، إلى قولـه : ﴿ فاعتبـروا يا أولي الأبصـار ﴾[3] فأمـر أن نعتبـر بأحــوال المستقدمين علينـا من هذه الأمّـة وممـن قبلنـا ، وذكر في غـير موضع ، أن سنّته في ذلك مطردة وعادة مستمرة . فقال تعالى : ﴿ لئن لم ينته المنافقون والذين في قلوبهم مرض والمرجفون في المدينة لنغرينك بهم ثم لا يجاورونك فيها إلا قليلاً ، ملعونين أينما ثقفوا أخذوا وقتلوا تقتيلاً ، سنّة الله في الذين خلوا من قبل ولن تجد لسنّة الله تبديلاً ﴾[4] .

وقال تعالى : ﴿ولو قاتلكم الذين كفروا لولّوا الأدبار، ثم لا يجدون ولياً ولا نصيراً سنّة الله التي قد خلت من قبل ولن تجد لسنّة الله تبديلاً ﴾[5] .

وأخبر سبحانه أن دأب الكافرين من المستأخرين ، كدأب الكافرين من المستقدمين ، فينبغي للعقلاء أن يعتبروا سنّة الله وأيامه في عباده ، وأدب الأمم وعاداتهـم لا سيما في مثـل هذه

---

(١) سورة النازعات ، الآية : ٢٥ .
(٢) سورة الحشر ، الآية : ٢ .
(٣) سورة الحشر ، الآية : ٢ .
(٤) سورة الأحزاب ، الآية : ٦٢ .
(٥) سورة الفتح ، الآية : ٢٢ .

الحادثة العظيمة التي طبق الخافقين خبرها ، واستطار في جميع الديار شررها ، وأطلع فيها النفاق ناصية رأسه ، وكشر فيها الكفر عن أنيابه ،وأضراسه ، وكاد فيها عمود الكتاب أن يجتثّ ويخترم ، وحبل الإيمان أن ينقطع ويصطلم ، وعقر دار المؤمنين أن يحل بها البوار ، وأن يزول هذا الدين باستيلاء الفجرة التتار ، وظن المنافقون والذين في قلوبهم مرض أنه ﴿ ما وعدنا الله ورسوله إلا غروراً ﴾[1] ، وأن لن ينقلب حزب الله ورسوله إلى أهليهم أبداً ، وزين ذلك في قلوبهم وظنوا ظن السوء وكانوا قوماً بوراً ، ونزلت فتنة تركت الحليم حيراناً ،وأنزلت الرجل الصادق منزلة السكران وتركت الرجل اللبيب لكثرة الوساوس ليس بالنائم ولا اليقظان وتناكرت فيها قلوب المعارف والإخوان حتى أن في الرجل نفسه شغل عن أن يغيث اللهفان ، وميز الله فيها أهل البصائر والإيقان من الذين في قلوبهم مرض أو نفاق أو ضعف إيمان ، ورفع بها أقواماً إلى الدرجات العالية ، كما خفض بها أقواماً إلى المنزلة الهاوية وكفر بها عن آخرين أعمالهم الخاطئة ، وحدث من أنواع البلوى وما جعلها مختصرة من القيامة الكبرى فإن الناس تفرقوا فيها ما بين شقي وسعيد ، كما يتفرقون كذلك في اليوم الموعود ولم ينفع المنفعة الخالصة من البلوى إلا الإيمان والعمل الصالح والبر

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ١٢ .

والتقوى وبليت فيها السرائر وظهرت الجنايا التي تكنها الضمائر وتبين أن البهرج من الأقوال والأعمال يخون صاحبه أحوج ما كان إليه في المال وذم سادته وكبرائه من أطاعهم فأضلوه السبيلا ، كما حمد ربه من صدق في إيمانه واتخذ مع الرسول سبيلاً ، وبان صدق ما جاءت به الأخبار النبوية من الأخبار بما يكون ، وواطأتها قلوب الذين هم في هذه الأمّة محدثون ، أي ملهمون ، كما تواطأت عليها المبشرات التي رآها المؤمنون ، وتبين فيها الطائفة المنصورة الظاهرة ، الذين لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم إلى يوم القيامة حيث تحزب الناس ثلاثة أحزاب ، حزب مجتهد في نصرة الدين ، وآخر خاذل له ، وآخر خارج عن شريعة الإسلام ، وانقسم الناس بين مأجور ومغرور ، وآخر قد غرّه بالله الغرور ، وكان هذا الامتحان تمييزاً من الله وتقسيماً ﴿ ليجزي الله الصادقين بصدقهم ويعذب المنافقين إن شاء أو يتوب عليهم إن الله كان غفوراً رحيماً ﴾[1] .

قلت وما ذكره من الافتتان ، قد رأينا ما هو نظيره أو أعظم منه في هذه الأزمان ، وكذلك انقسم الناس إلى أقسام ، أحدها ناصر لدين الإسلام وساع في ذلك بكل جهده ، وهم القليلون عدداً الأعظمون عند الله أجراً .

القسم الثاني : خاذل لأهل الإسلام تارك لمعونتهم .

---

(١) سورة الأحزاب ، الآية : ٢٤ .

القسم الثالث : خارج عن شريعة الإسلام بمظاهـرة حزب المشركين ومناصحتهم . وقد روى الطبراني عن ابن عباس عن النبي ﷺ ، قال : من أعان صاحـب باطـل ليدحض بباطلـه حقاً ، فقد برئت منه ذمة الله وذمة نبيه .

فصل

وهذا أوان الشروع في المقصود فأما معاداة الكفّار والمشركين فاعلم أن الله سبحانه وتعالى قد أوجب ذلك وأكد إيجابه وحرم موالاتهم وشدد فيها حتى أنه ليس في كتاب الله تعالى حكم فيه من الأدلة أكثر ولا أبين من هذا الحكم ، بعد وجوب التوحيد وتحريم ضده .

قال الله تعالى: ﴿واذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض، قالوا إنما نحن مصلحون ﴾[1] . قال ابن جرير رحمه الله تعالى فأهل النفاق مفسدون في الأرض بمعصيتهم ربهم ، وركوبهم فيها ما نهاهم عن ركوبه وتضييعهم فرائضه وشكهـم في دينـه الذي لا يقبل من أحد عملاً إلا بالتصديق به، والايقان بحقيقته وتكذيبهم المؤمنين بدعواهم غير ما هم عليه مقيمون من الشك والتكذيب ومظاهرتهم أهل التكذيب بالله وكتبـه ورسلـه على أولياء الله إن وجدوا إلى ذلك سبيلاً ، قال ابن كثير وهذا الذي

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١١ .

قاله حسن ، فإن من الفساد في الأرض ، اتخاذ المؤمنين الكافرين أولياء ، كما قال تعالى : ﴿ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ﴾[1] ، فقطع الموالاة بين المؤمنين والكافرين ، كما قال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين ﴾[2] الآية . وقوله : ﴿ إنما نحن مصلحون ﴾[3] أي نريد أن نداري الفريقين من المؤمنين والكافرين ونصلح مع هؤلاء ، وهؤلاء يقول الله : ﴿ألا أنهم هم المفسدون﴾ : يقول ألا إن هذا الذي يعتمدون ويزعمون أنه إصلاح هو عين الفساد ولكن من جهلهم لا يشعرون أنه فساد . انتهى .

وهذا الذي ذكره قد والله سمعناه ورأينا أهله إذا قيل لهم ما الحامل لكم على مجالسة أهل الشر والفساد ، قالوا نريد أن نصلح أحوالنا ونستخرج دنيانا منهم ويكون لنا يد عندهم ، وبعضهم إذا ظن بالله ظن السوء من إذائه أهل الباطل ، ورأى من له اتصال بهم وتوصل إليهم اتخذه صديقاً ورضي به قائلاً بلسان حاله نخشى أن تصيبنا دائرة ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون .

وقال تعالى: ﴿بشّر المنافقين بأن لهم عذاباً أليماً، الذين

---

(١) سورة الأنفال ، الآية : ٧٣ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٤٤ .

يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، أيبتغون عندهم العزة فإن العزة لله جميعاً ﴾[1] إلى قوله : ﴿ يا أيها الذي آمنوا لا تتخذوا الكافرين أولياء من دون المؤمنين أتريدون أن تجعلوا لله عليكم سلطاناً مبيناً﴾ قال ابن كثير ، ثم وصفهم بأنهم يتخذون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، يعني معهم في الحقيقة يوالونهم ويسرون إليهم بالمودة ، ويقولون لهم إذا خلوا بهم إنا معكم إنما نحن مستهزؤون أي بالمؤمنين في إظهارنا لهم الموافقة ، قال الله تعالى منكراً عليهم فيما سلكوه من موالاة الكافرين ، ﴿ أيبتغون عندهم العزة ﴾ ، ثم أخبر أن العزة كلها له وحده لا شريك له ، ولمن جعلها له كما قال تعالى في الآية الأخرى ﴿ من كان يريد العزة فلله العزة جميعاً ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين ﴾[3] الآية .

والمقصود من هذا التهييج على طلب العزة من جناب الله تعالى ، والإلتجاء إلى عبوديته والانتظام في جملة عباده المؤمنين ، الذين لهم النصرة في هذه الحياة الدنيا ويوم يقوم الأشهاد .

قلت فإذا كانت موالاة الكافرين من أفعال المنافقين ، فهذا كافٍ في تحريمها والنهي عنها ، وقال تعالى : ﴿ لا يتخذ

---

(١) سورة النساء ، الآية : ١٤٤ .

(٢) سورة فاطر ، الآية : ١٠ .

(٣) سورة المنافقون ، الآية : ٨ .

المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ، ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء﴾[1] ، فنهى سبحانهُ المؤمنين عن موالاة الكافرين ، ثم قال ، ومن يفعل ذلك ، أي ومن يوال الكافرين فليس من الله في شيء ، أي فقد برىء من الله وبرىء الله منه ، وهذا تهديد شديد ووعيد أكيد حفظاً للإسلام والتوحيد ، وقال تعالى : ﴿ ترى كثيراً منهم يتولون الذين كفروا لبئس ما قدمت لهم أنفسهم أن سخط الله عليهم وفي العذاب هم خالدون ، ولو كانوا يؤمنون بالله والنبي وما أنزل إليه ما اتخذوهم أولياء ولكن كثيراً منهم فاسقون ﴾[2] .

قال شيخ الإسلام : فبيّن سبحانه الإيمان بالله والنبي . وما أنزل إليه ملتزم بعد ولايتهم ، فثبوت ولايتهم يوجب عدم الإيمان لأن بعدم اللازم يقتضي عدم الملزوم ، قلت رتب الله تعالى على موالاة الكافرين سخطه ، والخلود في العذاب ، وأخبر أن ولايتهم لا تحصل إلا ممن ليس بمؤمن وأما أهل الإيمان بالله وكتابه ورسوله فإنهم لا يوالونهم بل يعادونهم كما أخبر الله عن إبراهيم والذين معه من المرسلين ، كما يأتي بيانه إن شاء الله تعالى .

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود

---

(١) سورة آل عمران ، الآية : ٢٨ .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٨٠ .

والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ، ومن يتولهم منكم فإنه منهم ، إن الله لا يهدي القوم الظالمين ، فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم ، يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين ﴾[1] ، فنهى سبحانه وتعالى المؤمنين أن يوالوا اليهود والنصارى وذكر أن من والاهم فهو منهم أي من تولى اليهود فهو يهودي ومن تولى النصارى فهو نصراني .

وقد روى ابن أبي حاتم عن محمد بن سيرين ، قال : قال عبدالله ابن عتبة ليتق أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشعر قال : فظنناه يريد هذه الآية ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ﴾ إلى قوله ﴿ فإنه منهم ﴾ . . الآية ، وكذلك من تولى المشرك ، فهو مشرك ومن تولى الأعاجم فهو أعجمي ، فلا فرق بين من تولى أهل الكتابين وغيرهم من الكفّار ، ثم أخبر تعالى أن الذين في قلوبهم مرض أي شك في الدين وشبهة يسارعون في الكفر قائلين ﴿ نخشى أن تصيبنا دائرة ﴾ أي إذا أنكرت عليهم موالاة الكافرين قالوا نخشى أن تكون الدولة لهم في المستقبل ، فيتسلطون علينا ، فيأخذون أموالنا ويشردوننا من بلداننا ، وهذا هو ظن السوء بالله الذي قال الله فيه : ﴿ الظانّين بالله ظنّ السوْء عليهم دائرة السوء

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥١ .

وغضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم جهنمَ وساءت مصيراً ﴾[1] .

ولهذا قال تعالى في هذه الآية ﴿فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسرُّوا في أنفسهم نادمين ﴾[2] ، وعسى من الله واجب والحمد لله الذي أتى بالفتح فأصبح أهل الظنون الفاسدة على ما أسروا في أنفسهم نادمين . وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا الذين اتخذوا دينكم هُزواً ولعباً من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم والكفّار أولياء واتقوا الله إن كنتم مؤمنين ﴾[3] فنهى سبحانه وتعالى المؤمنين عن موالاة أهل الكتابين وغيرهم من الكفّار ، وبين أن موالاتهم تنافي الإيمان . وقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا آباءكم وإخوانكم أولياء ، ان استحبوا الكفر على الإيمان ومن يتولهم منكم ، فأولئك هم الظالمون ﴾[4] ، ﴿ قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموالٌ اقترفتموها وتجارةٌ تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحبّ إليكم من الله ورسوله وجهادٍ في سبيله فتربصوا حتى يأتي اللهِ بأمره ، والله لا يهدي القوم الفاسقين ﴾[5] .

---

(١) سورة الفتح ، الآية : ٦ .

(٢) سورة المائدة ، الآية : ٥٢ .

(٣) سورة المائدة ، الآية : ٥٧ .

(٤) سورة التوبة ، الآية : ٢٣ .

(٥) سورة التوبة ، الآية : ٢٤ .

فنهى سبحانه وتعالى المؤمن عن موالاة أبيه وأخيه اللذين هما أقرب الناس إليه إذا كان دينهما غير الإيمان ، وبين أن الذي يتولى أباه وأخاه إذا كانا كافرين فهو ظالم ، فكيف بمن تولى الكافرين الذين هم أعداء له ولآبائه ولدينه ، أفلا يكون هذا ظالماً ؟ بلى ، والله إنه أظلم الظالمين ، ثم بين تعالى أن هذه الثمانية لا تكون عذراً في موالاة الكافرين ، فليس لأحد أن يواليهم خوفاً على أبيه أو أخيه أو بلاده أو ماله أو مشحته بعشيرته أو مخافة على زوجاته ، فإن الله قد سدّ على الخلق باب الأعذار بأن هذا ليس بعذر ، فإن قيل أنه قد قال كثير من المفسرين أن هذه الآية نزلت في شأن الجهاد .

فالجواب من وجهين: أحدهما: أن نقول إذا كانت هذه الثمانية ليس بيانه عذراً في ترك الجهاد الذي هو فرض على الكفاية ، فكونها لا تكون عذراً في ترك عداوة المشركين ومقاطعتهم بطريق الأولى .

الوجه الثاني : أن الآية بنفسها دالة على ما ذكرنا كما دلت على الجهاد فإنه قال ﴿ أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله ﴾ فمحبة الله ورسوله توجب إيثار عداوة المشركين ومقاطعتهم على هذه الثمانية وتقديمها عليها كما أن محبة الجهاد توجب إيثاره عليها ، وبالله التوفيق .

وهذا إذا سمعه المنصف يكون عنده ظاهراً إلا من أعمى الله

بصيرته بسبب تعصبه كما قال تعالى : ﴿ إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ، ولو جاءتهم كلُّ آية حتى يروا العذاب الأليم ﴾[1] وقال تعالى: ﴿ والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا ﴾[2] ، ثم قال ﴿ والذين كفروا بعضهم أولياء بعض إلا تفعلوه تكن فتنة في الأرض وفساد كبير ﴾[3]،فأخبر أن الكافرين إذا لم يوال بعضهم بعضاً بأن ينحازوا عن المسلمين ويقطعوا للمسلمين أيديهم منهم ، وإلا وقعت الفتنة والفساد الكبير ، فتبين أن موالاة المسلم للكافر سبب الافتتان في الدين بترك واجباته ، وارتكاب محرماته ، والخروج عن شرائعه ، وسبب الافتتان في الأديان والأبدان والأموال ، فأين هذا من أقوال الفساد والمحبون ، أن موالاة المشركين صلاح وعافية وسلامة ، وقال تعالى : ﴿ ودوا لو تكفرون كما كفروا فتكونون سواءً فلا تتخذوا منهم أولياء ، حتى يهاجروا في سبيل الله فإن تولوا فخذوهم واقتلوهم حيث وجدتموهم ، ولا تتخذوا منهم ولياً ولا نصيراً ﴾[4] فأخبر تعالى عن الكفار أنهم يودون كفر المسلمين كما كفروا ، ثم نهى أهل الإيمان عن موالاتهم حتى تحصل منهم الهجرة بعد الإسلام .

---

(١) سورة يونس ، الآية : ٩٦ .

(٢) الأنفال ، الآية : ٧٢ .

(٣) سورة الأنفال ، الآية : ٧٣ .

(٤) سورة النساء ، الآية : ٨٩ .

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يُخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربِّكم إن كنتم خرجتم جهاداً في سبيلي وابتغاءَ مرضاتي ، تُسرون إليهم بالمودة وأنا أعلم بما أخفيتم وما أعلنتم ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ، إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداءً و يبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء وودوا لو تكفرون ، لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة يفصل بينكم والله بما تعملون بصير ، قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه إذ قالوا لقومهم إنا برآء منكم ومما تعبدون من دون الله ، كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ، إلاّ قولَ إبراهيم لأبيه لأستغفرنّ لك وما أملك لك من الله من شيء ربنا عليك توكلنا و إليك أنبنا وإليك المصير﴾[1] إلى قوله : ﴿ إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم أن تولوهُم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾[2] ، إلى قوله : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفار من أصحاب القبور ﴾[3].

---

(١) سورة الممتحنة ، الآيات :١ - ٢ - ٣ .

(٢) سورة الممتحنة ، الآية : ٩ .

(٣) سورة الممتحنة ، الآية : ١٣ .

وقد ثبت في الصحاح ، أن هذه السورة نزلت في رجل من الصحابة لما كتب إلى أهل مكة يخبرهم بمسير النبي ﷺ ، إليهم عام الفتح ، فأنزل الله هذه الآيات بخبر هذا الكتاب ، وبعث رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب في أثر المرأة التي ذهبت بالكتاب ، فوجده في عقيصة رأسها ، فجاء الرجل إلى النبي ﷺ يتعذر ويحلف أنه ما شك ولكنه ليس له من يحمي مَن وراءه من أهله بمكة ، وأنه أراد هذا يداً عند قريش ، واستأذن بعض الصحابة في قتله ، فقال النبي ﷺ : وما يدريك أن الله اطلع على أهل بدر ، فقال اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم ، فلولا أن ذلك الرجل كان من أهل بدر لقتل بهذا الكتاب ، ففي هذه السورة مع سبب نزولها من الأدلة على وجوب عداوة الكفّار ومقاطعتهم أدلة كثيرة ، فنهى تعالى أهل الإيمان عن اتخاذ عدوه وعدوهم ، وهذا تهييج على عداوتهم ، فإن عداوة المعادي لربك باعثة وداعية إلى عداوتك .

ولنضرب لذلك مثلاً ، ولله المثل الأعلى ، فقدر نفسك مملوكاً لإنسان هو سيدك ، والسبب في حصول مصالحك ومنع مضارك وسيدك له عدو من الناس فهل يصح عندك ويجوز في عقلك أن تتخذ عدو سيدك ولياً ، ولو لم ينهك عن ذلك ، فكيف إذا نهاك عن ذلك أشد النهي ، ورتب على موالاتك له أن يعذبك ، وأن يسخط عليك ، وأن يوصل إليك ما تكره ويمنع عنك ما تحب فكيف إذا كان هذا العدو ، عدواً لك

ولسيدك ، فإذا واليته مع ذلك كله إنك إذاً لمن الظالمين الجاهلين ، ثم قال تلقون إليهم بالمودة ، وهذا كاف في إبطال شبهة المشبهين ، فإنه إذا أنكر عليهم موالاة المشركين وموادتهم ، قالوا : لم يصدر منا ذلك وهم مع ذلك يعينون أهل الباطل بأموالهم ، ويذبون عنهم بألسنتهم ويكاتبونهم بعورات المسلمين ، فأين هذا من الكتاب الذي نزلت فيه هذه السورة وقد سماه الله ، إلقاء بالمودة وهذا ظاهر جداً .

ثم قال : وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول وإياكم أن تؤمنوا بالله ربكم ، فذكر ما يدعو إلى عداوتهم وهو كفرهم بالحق الذي جاء من عند الله ، وإخراجهم النبي ﷺ وأهل الإسلام لأجل الإيمان بالله ، ثم حذر تعالى من موالاتهم بأنه يعلم السر والعلانية ، وهذا تهديد شديد ، ثم قال : ﴿ ومن يفعله منكم فقد ضل سواء السبيل ﴾[1] ، أي من يتول أعداء الله ويلق إليهم بالمودة ويسر إليهم ، فقد أخطأ الصراط المستقيم وخرج عن طريق الصواب .

ثم قال : إن يثقفوكم يكونوا لكم أعداءًا ، الآية ، فبين أنهم إن قدروا على المسلم ، واستولوا عليه ، ساموه سوء العذاب ، ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالضرب والقتل ، وبالكلام الغليظ ، ولو كان يواليهم ويكاتبهم في حال بعده عنهم ، فإنهم

---

(١) سورة الممتحنة ، الآية : ١

لا يرضون عنه ويسلمونه من شرهم ، حتى يكون دينه دينهم ، ولهذا قال : ﴿ وودوا لو تكفرون ﴾ ، كما قال : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ﴾[1]، ثم قال : ﴿ لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة ﴾[2]، الآية . فبين أنّ كون الرجل له أرحام وأولاد عند المشركين ، لا يبيح له موالاتهم ، كما اعتذر هذا الرجل بأن له في مكة أرحاماً وأولاداً فلم يعذره الله تعالى ، فإنه يجب على الإنسان أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما ، ولا يحصل الإيمان حتى يكون الرسول أحب إلى الإنسان من ولده ووالده والناس أجمعين ، فقوله : ﴿ لن تنفعكم أرحامكم ولا أولادكم يوم القيامة ﴾ ، أي لن ينجوكم من عذاب الله ، فكيف تقدمونهم على مراد الله ، ولأجلهم توالون أعداء الله ، والله تعالى مطلع عليكم بصير بأقوالكم وأعمالكم ونياتكم .

ثم بين أن هذا الذي دلهم عليه من موالاة المؤمنين ، ونهاهم من موالاة الكافرين ، ليس هو أمراً لهم وحدهم ، بل هو الصراط المستقيم الذي عليه جميع المرسلين ، فقال ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة في إبراهيم والذين معه ، إذ قالوا لقومهم إنا برءآء منكم ومما تعبدون من دون الله كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١١٠ .

(٢) سورة الممتحنة ، الآية : ٣ .

العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾[1] ، فقوله : ﴿ قد كانت لكم أسوة حسنة ﴾ ، كقوله تعالى : ﴿ ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً ﴾[2] ، فأمرنا سبحانه أن نتأسى بإبراهيم الخليل ومن معه من المرسلين في قولهم لقومهم : ﴿ إنا بُرءآء منكم ومما تعبدون من دون الله ﴾ إلى آخره ، وإذا كان هذا واجباً على المسلم أن يقول هذا لقومه الذين هو بين أظهرهم ، فكونه واجباً مع الكفار الأبعدين المخالفين له في جميع الأمور ، أبين وأبين .

وها هنا نكتة بديعة في قوله : ﴿إنا برءآءمنكم ومما تعبدون من دون الله ﴾ ، وهي أن الله تعالى قدم البراءة من المشركين العابدين غير الله على البراءة من الأوثان المعبودة من دون الله لأن الأول أهم من الثاني ، فإنه إن تبرأ من الأوثان ولا يتبرأ ممن عبدها ، فلا يكون آتياً بالواجب عليه ، وأمّا إذا تبرأ من المشركين فإن هذا يستلزم البراءة من معبوداتهم ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ وأعتزلكم وما تدعون من دون الله وأدعو ربي عسى أن لا أكون بدعاء ربي شقيًا ﴾[3] ، فقدم اعتزالهم معبوداتهم وكذا قوله : ﴿ فلما اعتزلهم وما يعبدون من دون الله ﴾[4] ،

---

(1) سورة الممتحنة ، الآية : ٤ .
(2) سورة النمل ، الآية ١٢٣ .
(3) سورة مريم ، الآية : ٤٨ .
(4) سورة مريم ، الآية : ٤٩ .

وقوله : ﴿ وإذ اعتزلتموهم وما يعبدون إلا الله ﴾[١] ، فعليك بهذه النكتة فإنها تفتح لك باباً إلى عداوة أعداء الله ، فكم من إنسان لا يقع منه الشرك ولكنه لا يعادي أهله ، فلا يكون مسلماً بذلك إذا ترك دين جميع المرسلين ، ثم قال : ﴿ كفرنا بكم وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً حتى تؤمنوا بالله وحده ﴾[٢] ، فقوله وبدا ، أي ظهر وبان ، وتأمل تقديم العداوة على البغضاء ، لأن الأولى أهم من الثانية ، فإن الإنسان قد يبغض المشركين ولا يعاديهم ، فلا يكون آتياً بالواجب عليه حتى تحصل منه العداوة والبغضاء ، ولا بد أيضاً من أن تكون العداوة والبغضاء باديتين ظاهرتين بينتين .

واعلم أنه وإن كانت البغضاء متعلقة بالقلب ، فإنها لا تنفع حتى تظهر آثارها وتتبين علامتها ، ولا تكون كذلك حتى تقترن بالعداوة والمقاطعة ، فحينئذ تكون العداوة والبغضاء ظاهرتين ، وأما إذا وجدت الموالاة والمواصلة ، فإن ذلك يدل على عدم البغضاء ، فعليك بتأمل هذا الموضع فإنه يجلو عنك شبهات كثيرة ، ثم قال : ﴿ إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم في الدين ، وأخرجوكم من دياركم ، وظاهروا على إخراجكم أن تولوهم ، ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون ﴾[٣] ، فذكر

---

(١) سورة الكهف ، الآية : ١٦ .

(٢) سورة الممتحنة ، الآية : ٤ .

(٣) سورة الممتحنة ، الآية : ٩ .

سبحانه وتعالى أفعالاً تدعو إلى مقاطعتهم وترك موالاتهم ، وهي أنهم يقاتلون في الدين أي من أجله ، يعني أن الدين حملهم على قتالكم لما أنتم عليه من الدين لعداوتهم ، وأيضاً يخرجون المؤمنين من ديارهم ، ويعاونون على إخراجهم ، فمن تولاهم مع ذلك فهو من أظلم الظالمين ، وفي هذه الآية أعظم دليل وأوضح برهان على أن موالاتهم محرمة منافية للإيمان ، وذلك أنه قال : ﴿ إنما ينهاكم الله ﴾ ، فجمع بين لفظة إنما المفيدة للحصر وبين النهي الصريح ، وذكر الخصال الثلاث وضمير الحصر ، وهو لفظة هم .

ثم قال: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتولوا قوماً غضب الله عليهم ، قد يئسوا من الآخرة كما يئس الكفّار من أصحاب القبور ﴾[1] ، فنهى سبحانه أهل الإيمان عن موالاة الذين غضب الله عليهم ، فلا يحسن من المؤمن ولا يجوز منه أن يوالي من فعل ما يغضب الله تعالى من الكفر ، فإن موالاته له تنافي الإيمان بالله تعالى .

فصل

وهاهنا أمور يجب التنبيه عليها ، وتعيين الاعتناء بها ليتم لفاعلها مجانبة دين المشركين .

---

(١) سورة الممتحنة ، الآية : ١٣ .

(**الأمر الأول**) ترك اتباع أهوائهم ، وقد نهى الله تعالى عن اتباعها ، قال تعالى : ﴿ ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم ، قل إن هدى الله هو الهدى ، ولئن اتبعت أهواءهم بعد الذي جاءك من العلم ما لك من الله من وليّ ولا نصير ﴾[1] .

قال شيخ الإسلام : فانظر كيف قال في الخبر ملتهم ، وقال في النهي أهواءهم ، لأن القوم لا يرضون إلا باتباع الملة مطلقاً ، والزجر وقع عن اتباع أهوائهم في قليل أو كثير ، وقال تعالى لموسى وهارون : ﴿ فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ﴾[2] وقال موسى لأخيه هارون : ﴿ اخلفني في قومي وأصلح ولا تتبع سبيل المفسدين ﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿ ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى ، ويتبع غير سبيل المؤمنين ، نوله ما تولى ، ونصله جهنم وساءت مصيراً ﴾[4] ، وقال تعالى : ﴿ وأنزلنا إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه ، فاحكم بينهم بما أنزل الله ، ولا تتبع أهواءهم ، عما جاءك من الحق ﴾[5] ، إلى قوله : ﴿ ولا تتبع أهواءهم ، واحذرهم أن يفتنوك عن بعض ما أنزل الله إليك ﴾[6] ، وقال تعالى : ﴿ ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب

---

(١) سورة البقرة ، الآية : ١١٠ .
(٢) سورة يونس ، الآية : ٨٩ .
(٣) سورة الأعراف ، الآية : ١٤٢ .
(٤) سورة النساء ، الآية : ١١٥ .
(٥) و(٦) سورة المائدة ، الآية : ٤٨ .

والحكم والنبوة ، وفضلناهم على العالمين ، وآتيناهم بينات من الأمر فما اختلفوا إلا من بعد ما جاءهم العلم بغياً بينهم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ، ثم جعلناك على شريعة من الأمر فاتبعها ولا تتبع أهواء الذين لا يعلمون ، إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً ، وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض والله ولي المتقين ﴾[1] .

وقال شيخ الإسلام: فأخبر سبحانه وتعالى ، أنه أنعم على بني إسرائيل بنعم الدين والدنيا ، وأنهم اختلفوا بعد مجيء العلم بغياً من بعضهم لبعض ، ثم جعل محمداً ﷺ على شريعة شرعها له وأمره باتباعها ، ونهاه عن اتباع أهواء الذين لا يعلمون ، وقد دخل في الذين لا يعلمون كل من خالف شريعته ، وهوي ما يهوونه ، **قلت** : فإذا كان اتباع أهواء جميع الكفّار وسلوك ما يحبونه منهياً عنه وممنوعاً منه ، فهذا هو المطلوب ، وما نهاك إلا خوفاً من اتباعهم في أصل دينهم الباطل .

وقال تعالى: ﴿وكذلك أنزلناه حكماً عربياً، ولئن اتبعت أهواءهم بعد ما جاءك من العلم ما لك من الله من وليّ ولا واق ﴾[2] فأخبر سبحانه وتعالى أنه أنزل كتابه حكماً عربياً ، ثم توعده على اتباع أهواء الكفّار بهذا الوعيد الشديد ، وقال

---

(١) سورة الجاثية ، الآيات : ١٦ - ١٩ .

(٢) سورة الرعد ، الآية : ٣٧ .

تعالى : ﴿ ولا تتبع أهواء الذين كذبوا بآياتنا والذين لا يؤمنون بالآخرة وهم بربهم يعدلون ﴾[1]، إلى غير ذلك من الآيات الدالة على وجوب ترك أهواء الكافرين ، وتحريم اتباعهم ، وأنه من أعظم القوادح في الدين .

(الأمر الثاني) : معصيتهم فيما أمروا به فإن الله تعالى نهى عن طاعة الكافرين ، وأخبر أن المسلمين إن أطاعوهم ، ردوهم عن الإيمان إلى الكفر والخسارة ، فقال تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقاً من الذين أوتوا الكتاب يردوكم بعد إيمانكم كافرين ﴾[2] ، وقال تعالى : ﴿ ولا تطع من أغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وكان أمره فُرُطاً ﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿ وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم ، وإن أطعتموهم إنكم لمشركون ﴾[4] ، وقال تعالى : ﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله إن يتبعون إلا الظن وإن هم ألا يخرصون ﴾[5] ، وقال تعالى : ﴿ ولو شئنا لبعثنا في كل قرية نذيراً ، فلا تطع الكافرين وجاهدهم به جهاداً كبيراً ﴾[6] ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها النبي جاهد الكفّار

---

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٥٠ .
(٢) سورة آل عمران ، الآية : ١٠٠ .
(٣) سورة الكهف ، الآية : ٢٨ .
(٤) سورة الأنعام ، الآية : ١٢١ .
(٥) سورة الأنعام ، الآية : ١١٦ .
(٦) سورة الفرقان ، الآية : ١٥١ .

والمنافقين ، وأغلظ عليهم ﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿ يا أيها النبي اتــق الله ولا تطــع الكافــرين والمنافقــين إن الله كان عليماً حكيماً ﴾[2] ، وقال تعالى إخباراً عن من أطاع رؤساء الكفر : ﴿ وقالوا ربنا إنا أطعنا سادتنا وكبراءنا فأضلونا السبيلا ﴾[3] ، وقال تعالى : ﴿ اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله ، والمسيح ابن مريم ، وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون ﴾[4] .

وفسر النبي ﷺ اتخاذهم أرباباً ، أنهـا طاعتهـم في تحـريم الحلال وتحليل الحرام ، فإذا كان من أطاع الأحبار وهم العلماء والرهبان وهم العباد في ذلك ، فقد اتخذهم أربابـاً من دون الله ، فمن أطاع الجهال والفساق في تحريم ما أحـل الله ، أو تحليل ما حرم الله ، فقد اتخذهم أرباباً من دون الله ، بل ذلك أولى وأحرى .

(الأمر الثالث) : ترك الركون إلى الكفرة والظالمين وقد نهى الله عن ذلك فقال : ﴿ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسـكم النار ومـا لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون ﴾[5] ،

---

(١) سورة التوبة ، الاية : ٧٣ .
(٢) سورة الأحزاب ، الآية : ١ .
(٣) سورة الأحزاب ، الآية : ٦٧ .
(٤) سورة التوبة ، الآية : ٣١ .
(٥) سورة هود ، الآية : ١١٣ .

فنهى سبحانه وتعالى عن الركون إلى الظَّلَمَة وتوعد على ذلك بمسيس من النار وعدم النصر والترك ، وهو أعظم أنواع الظلم ، كما قال تعالى : ﴿ إن الشرك لظلم عظيم ﴾[1] فمن ركن إلى أهل الشرك أي مال إليهم ورضي بشيء من أعمالهم ، فإنه مستحق لأن يعذبه الله بالنار وأن يخذله في الدنيا والآخرة ، وقال تعالى : ﴿ ولولا أن ثبتناك لقد كِدتَ تركنُ إليهم شيئاً قليلاً إذاً لأذقناك ضعفَ الحياة وضعفَ المماتِ ثم لا تجد لك علينا نصيراً ﴾[2] ، فأخبر سبحانه وتعالى أنه لولا تثبيته لرسوله ﷺ لركن إلى المشركين شيئاً قليلاً ، وأنه لو ركن إليهم لأذاقه عذاب الدنيا والآخرة مضاعفاً ، ولكن الله ثبته فلم يركن إليهم بل عاداهم وقطع اليد منهم ، ولكن إذا كان الخطاب للنبي ﷺ مع عصمته بهذه الشدة فغيره أولى بلحوق هذا الوعيد به .

(الأمر الرابع) : ترك موادة أعداء الله ، قال الله تعالى : ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخِرِ يوادّون من حادّ الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم ﴾[3] .

قال شيخ الإسلام : فأخبر سبحانه وتعالى ، أنه لا يوجد

---

(١) سورة لقمان ، الآية : ١٣ .

(٢) سورة الإسراء ، الآية : ٧٤ .

(٣) سورة المجادلة ، الآية : ٢٢ .

مؤمن يوادّ من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم ولا يوجد مؤمن يواد كافراً ، فمن واد كافراً فليس بمؤمن ، **قلت** : فإذا كان الله قد نفى الإيمان عن من واد أباه وأخاه وعشيرته إذا كانوا محادين الله ورسوله فمن واد الكفّار الأبعدين عنه فهو أولى بأن لا يكون مؤمناً .

(الأمر الخامس) : ترك التشبه بالكفار في الأفعال الظاهرة ، لأنها تورث نوع مودة ومحبة وموالاة في الباطن ، كما أن المحبة في الباطن تورث المشابهة في الظاهر ، وهذا أمر يشهد به الحس والتجربة حتى أن الرجلين إذا كانا من بلد واحد ثم اجتمعا في دار غربة كان بينهما من المودة والائتلاف أمر عظيم ، وإن كانا في مصر هما لم يكونا متعارفين ، أو كانا متهاجرين ، وذلك لأن الاشتراك في نوع وصف اختصاص به عن بلد الغربة ؛ بل لو اجتمع رجلان في سفر أو بلد غريب ، فكانت بينهما مشابهة في العمامة أو الثياب أو الشعر أو المركب ، ونحو ذلك لكان بينهما من الائتلاف أكثر مما بين غيرهما وكذلك تجد أرباب الصناعات الدنيوية ، يألف بعضهم ببعض ما لا يألفون غيرهم حتى أن ذلك يكون مع المعاداة والمحاربة ، أما على الدين تجد الملوك من الرؤساء وإن تباعدت ديارهم وممالكهم ، بينهم مناسبة تورث مشابهة وحماية من بعض لبعض ، وهذا كله موجب الطباع ومقتضاها ، إلا أنه يمنع من ذلك دين أو غرض حاضر ، فإذا كانت المشابهة في أمور دنيوية تورث المحبة

والموالاة لهم ، فكيف بالمشابهة في أمور دينية ، فإن إفضائها إلى نوع من الموالاة أكثر وأشد ، وهذا كلام شيخ الإسلام ابن تيمية .

قلت : فإذا كانت مشابهة الكفّار في الأفعال الظاهرة ، إنما نهي عنها لأنها وسيلة وسبب يفضي إلى موالاتهم ومحبتهم بالنهي عن هذه الغاية ، والمحذور أشد والمنع منه وتحريمه أوكد ، وهذا هو المطلوب .

ذكر بعض الدليل على النهي عن مشابهة الكفار والمشركين :

روى أبو داود في سننه عن ابن عمر ، **قال** : **قال رسول الله** ﷺ : من تشبه بقوم فهو منهم .

قال شيخ الإسلام وإسناده جيد ، وأقل أحواله أن يقتضي تحريم التشبه بهم ، وإن كان ظاهره يقتضي كفر المتشبه بهم ، كما في قوله تعالى : ﴿ ومن يتولهم منكم فإنه منهم ﴾ [1] وهو نظير ما سنذكره عن عبدالله بن عمر ، أنه قال : من بنى بأرض المشركين وصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت حشر معهم يوم القيامة ، وقد ثبت عن عائشة ، أنها كرهت الاختصار في الصلاة وقالت : لا تتشبهوا باليهود .

وروى البيهقي بإسناد صحيح عن عمرو بن دينار قال : قال

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥١ .

عمر بن الخطاب لا تتعلموا رطانة الأعاجم ، ولا تدخلوا على المشركين في كنائسهم يوم عيدهم فإن السخط ينزل عليهم ، وروي بإسناد صحيح عن أبي أسامة قال : حدثنا عوف عن أبي المغيرة عن عبدالله بن عمر ، قال : من بنى ببلاد الأعاجم ، فصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت وهو كذلك حشر معهم يوم القيامة ، فهذا عمر نهى عن تعلم لسانهم ، وعن مجرد دخول الكنيسة عليهم يوم عيدهم ، فكيف بفعل بعض أفعالهم ، أو فعل ما هو من دينهم ، أليست موافقتهم في العمل أعظم من الموافقة في اللغة ، أوليس عمل بعض أعمالهم أي أعمال عيدهم أعظم من مجرد الدخول عليهم في عيدهم ، وإذا كان السخط ينزل عليهم يوم عيدهم بسبب عملهم ، فمن يشركهم في العمل أو بعضه أليس قد تعرض إلى العقوبة ، وأما عبدالله بن عمر فصرح إنه من بنى ببلادهم وصنع نيروزهم ومهرجانهم وتشبه بهم حتى يموت حشر معهم ، وهذا يقتضي أنه جعله كافراً بمشاركتهم في مجموع هذه الأمور ، أو جعل ذلك من الكبائر الموجبة للنار ، وإن كان الأول ظاهر لفظه فتكون المشاركة في بعض ذلك معصية ، لأنه لو لم يكن مؤثراً في استحقاق العقوبة ، لم يجز جعله جزءاً من المقتضي ، إذ المباح لا يعاقب عليه ، وليس الذم على بعض ذلك مشروطاً ببعض ، إلا أن أبعاض ما ذكره يقتضي الذم منفرداً .

وعن عمرو بن ميمون الأزدي قال : قال عمر رضي الله عنه كان أهل الجاهلية لا يفيضون من جمع حتى تطلع الشمس ويقولون أشرق ثبير كيما نغير ، فخالفهم النبي ﷺ ، وأفاض قبل طلوع الشمس ، وقد روي في هذا الحديث فيما أظنه أنه قال خالف هدينا هدى المشركين ، وكذلك كانوا يفيضون من عرفات قبل غروب الشمس فخالفهم النبي ﷺ ، فالإفاضة بعد الغروب .

وعن عبدالله بن عمر ، قال : رأى رسول ﷺ عليّ ثوبين معصفرين ، قال : إن هذه ثياب الكفّار فلا تلبسها رواه مسلم ، نهى عن لبسها بأنها من ثياب الكفّار ، وفي كتاب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى عتبة بن فرقد وإياك وزي أهل الشرك ، وهو في الصحيحين ، وروى الخلال ، عن محمد بن سيرين ، أن حذيفة أتى بيتاً ، فرأى فيه شيئاً من زي العجم ، فخرج وقال : من تشبه بقوم فهو منهم ، وقال علي ابن أبي صالح السواق ، كنا في وليمة فجاء أحمد بن حنبل ، فلما دخل نظر إلى كرسي في الدار عليه فضة فخرج ، فلحقه صاحب الدار ، فنفض يده في وجهه ، وقال : زي المجوس ، زي المجوس . وعن قيس بن أبي حازم قال : دخل أبو بكر رضي الله عنه على امرأة من أحمس يقال لها زينب فرآها لا تتكلم ، فقال ما لها لا تتكلم ؟ فقالوا حجت مصمتة ، فقال لها تكلمي فإن هذا لا يحل ، هذا من عمل الجاهلية ، فتكلمت ،

فقالت من أنت ؟ قال : امرء من المهاجرين ، قالت أي المهاجرين ؟ قال : من قريش ، قالت : من أي قريش ؟ قال إنك لسؤول ، أنا أبو بكر ، قالت : ما بقاؤنا على هذا الأمر الصالح الذي جاء الله به بعد الجاهلية ؟ قال : بقاؤكم عليه ما استقامت لكم أئمتكم ، قالت : وما الأئمة ؟ قال : أما كان لقومكم رؤساء وأشرافاً يأمرونهم فيطيعونهم ، قالت : بلى ، قال : فهم أولئك على الناس ، رواه البخاري في صحيحه .

فأخبر أبو بكر رضي الله عنه أن الصمت المطلق لا يحل ، وعقب ذلك بقوله هذا عمل الجاهلية ، قاصداً بذلك عيب هذا العمل وذمه ، وتعقيب الحكم بالوصف دليل على أن الوصف علة ، فدل على أن كونه من عمل الجاهلية وصف يوجب النهي عنه ، والمنع منه ، وقد كتب عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه إلى المسلمين المقيمين ببلاد فارس ، إياكم وزي أهل الشرك ، وهذا النهي منه للمسلمين ، من كل ما كان من زي المشركين ، وفي كتابه إلى عتبة بن فرقد ، إياكم والتنعم ، وزي أهل الشرك ، ولبوس الحرير ، وروى أحمد في المسند ، أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان بالجابية ، فذكر فتح بيت المقدس ، قال حماد بن سلمة فحدثني أبو سنان عن عبيد بن آدم ، قال : سمعت عمر رضي الله عنه يقول لكعب ، أين ترى أن أصلي ، قال : إن أخذت عني صليت خلف الصخرة ، وكانت القدس كلها بين يديك ، فقال عمر رضي

الله عنه ، ضاهية اليهود ، لا ولكن أصلي حيث صلى رسول الله ﷺ : فتقدم إلى القبلة فصلى ، ثم جاء فبسط رداءه فكسر فكنس الكناسة في ردائه ، وكنس الناس فعاب رضي الله عنه على كعب مضاهاة اليهود ، مشابهتها في مجرد استقبال الصخرة ، لما فيه من مشابهة من يعتقدها قبلة باقية ، وأن المسلم لا يقصد أن يصلي إليها ، وقد كان لعمر رضي الله عنه في هذا الباب من السياسات المحكمة ، ما هي مناسبة لسائر سيرته المرضية ، فإنه رضي الله عنه هو الذي استحالت ذنوب الإسلام في يده غرباً ، فلم يفر عبقري فريه ، حتى صدر الناس بعطن ، فأعز الإسلام وذل الكفر وأهله ، وأقام شعار الدين الحنيفي ، ومنع من كل أمر فيه تذرع إلى نقض عرى الإسلام مطيعاً في ذلك لله ولرسوله ، وقافاً عند كتاب الله ممتثلاً لسنّة رسول الله ﷺ محتذياً حذو صاحبه مشاوراً في أموره السابقين الأولين حتى أن العمدة في الشروط على أهل الكتاب على شروطه ، وحتى منع من استعمال كافراً وائتمانه على الأئمة ، وإعزازه بعد إذلاله أي من أذله الله ، وحتى روى أنه حرق الكتب العجمية ، وهو الذي أمر بأهل البدع أن ينفوا وألزمهم ثوب الصغار .

وروى الخلال عن عكرمة عن ابن عباس أنه سأل رجلاً احتقن قال تبد العورة ولا تستن بسنّة المشركين ، فقوله لا تستن بسنّة المشركين عام ، وروى أبو داود عن أنس أنه دخل عليه

غلام وله قرنان أو قصتان ، فقال احلقوا هذين أو قصوهما ، فإن هذا زي اليهود ، علل النهي عنهما بأن ذلك زي اليهود ، وتعليل النهي بعلة يوجب أن تكون العلة مكروهة ، مطلوب إعدامها ، نقل ذلك شيخ الإسلام .

وقال أيضاً عند قوله ﷺ هل بها عيد من أعياد الجاهلية ، وهذا نهي شديد عن أن يفعل شيء من أعياد الجاهلية على أي وجه كان ، وأعياد الكفّار من الكتابيين والأميين في دين الإسلام من جنس واحد ، كما أن كفر الطائفتين سواء في التحريم ، وإن كان بعضه أشد تحريماً وإذا كان الشارع قد حسم مادة أعياد أهل الأوثان خشية تدنس المسلم بشيء من أمر الكفّار الذين يئس الشيطان أن يقيم أمرهم في جزيرة العرب ، فالخشية من تدنسه بأوضاع الكتابيين الباقين أشد ، والنهي عنه أوكد ، إلى أن قال : وقد بالغ ﷺ في أمر أمّته بمخالفتهم في كثير من المباحات ، وصفات الطاعات ، لئلا يكون ذريعة إلى موافقتهم ، في غير ذلك من أمورهم ، ولتكون المخالفة في ذلك حاجزاً ومانعاً عن سائر أمورهم ، كلما كثرت المخالفة بينك وبين أهل الجحيم كان أبعد عن أعمال أهل الجحيم ، فليس بعد حرصه على أمّته ونصحه لهم غايته ﷺ ، وكل ذلك من فضل الله عليه وعلى الناس ولكن أكثر الناس لا يعلمون .

قلت فإذا كانت مبالغته ﷺ في أمر أمّته بمخالفة الكفّار إنما خوفاً من أن تكون مشابهتم في الهدى الظاهر ، مؤدية وجارة إلى

الموافقة والموالاة ، فما بال كثير ممن يدعي الإسلام قد وقع في المحذور بعينه ، وهم مع ذلك يحسبون أنهم يحسنون صنعاً ؟

وروى أبو داود في سننه وغيره من حديث هشيم أخبرنا أبو بشر عن أبي عمير بن أنس عن عمومة له من الأنصار ، قال اهتم النبي صلى الله عليه و آله وسلم ، وكيف يجمع الناس لها فذكروا له طنبور اليهود ، فلم يعجبه ذلك ، وقال هو من أمر اليهود ، قال : فذكروا له الناقوس . فقال : هو من أمر النصارى ، الحديث ، قال في القاموس تنبور كتنور البوق الذي ينفخ فيه ويرمز . انتهى .

والغرض أنه صلى الله عليه وآله وسلم لما ذكر بوق اليهود المنفوخ بالفم ، وناقوس النصارى المضروب باليد ، علل هذا بأنه من أمر اليهود ، وعلل هذا بأنه من أمر النصارى ، لأن ذكر الوصف عقب الحكم يدل على أنه علة له وهذا يقتضي نهيه عما هو من أمر اليهود والنصارى ، ويقتضي كراهة هذا النوع من الأصوات مطلقاً في غير الصلاة أيضاً لأنه من أمر اليهود والنصارى ، فالنصارى يضربون بالنواقيس في أوقات متعددة غير أوقات عباداتهم وإنما شعار الدين الحنيف الآذان المتضمن للإعلان بذكر الله سبحانه وتعالى الذي به تفتح أبواب السماء ، وتهرب الشياطين ، وبه تنزل الرحمة ، وقد ابتلي كثير من هذه الأمّة ، من الملوك وغيرهم بهذا الشعار اليهودي والنصراني ، وهذه المشابهة لليهود والنصارى والأعاجم من أهل الشرك

والفرس ، لما غلب على ملوك المشرق هي وأمثالها ، مما خالفوا به هدي المسلمين ، ودخلوا فيما كرهه الله ورسوله سلط عليهم أهل الشرك الموعود بقتالهم ، حتى فعلوه في العباد والبلاد ، ما لم يجر في دولة الإسلام مثله ، وذلك تصديق قوله ﷺ لتركبنّ سنن من كان قبلكم انتهى من الإقتضاء .

وكما وقع من العقوبة على مخالفة هدي المسلمين بتسليط أهل الشرك على ما ذكره شيخ الإسلام ، وقع نظيره في هذه الأزمان فإن المنتسبين إلى الإسلام لما سلكوا كثيراً من هدي اليهود والنصارى ، وأهل الجاهلية المشركين والأعاجم أعداء الله ، وتشبهوا بهم في كثير من الأمور ، وسلط عليهم أهل الشرك الخارجون عن شرائع الإسلام ، فجرى على الإسلام محن عظيمة ، وأمور كبيرة ، حتى أنهم يذلون الرئيس ويمتهنون الشيخ الكبير ، ولا يرحمون العاجز ولا الضعيف ، فأفسدوا الأديان ، وخربوا البلدان ، وأهانوا الأبدان ، وذلك بحكمة الديان عقوبة على الظلم والعصيان ، والله المستعان وعليه التكلان ، ولكن من رحمة الله تعالى أن الحق لا يزول ، ويأبى الله إلا إظهار دين الرسول ، ﴿ يريدون أن يطفئوا نور الله بأفواههم ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون ، هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون ﴾[1] .

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ٣٣ .

فإذا محص الله أهل الإيمان وانتهى ما عاقبهم به على العصيان ، وشمخت أنوف أهل الفساد والكفران ، وظنوا أن الدولة لهم في غابر الأزمان ، أظهر الله عليهم شمس الإيمان والإسلام فمزقهم بها في أقرب أوان ، وشردهم إلى أقصى البلدان ، قال ابن القيم رحمه الله تعالى :

والله ناصر دينه وكتابه
ورسوله في سائر الأزمان
لكن بمحنة حزبه من حزبه
ذا حكمه مذ كانت الفئتان

وقال أيضاً :

والحق منصور وممتحن فلا
تعجب فهذا سنّة الرحمن
وبذاك يظهر حزبه من حزبه
ولأجل ذاك الناس طائفتان

وقال شيخ الإسلام : في الكلام على شروط أهل الذمة وذلك يقتضي إجماع المسلمين للتميز عن الكفّار ظاهراً وترك التشبه بهم ، ولقد كان أمراء الهدى مثل العمرين وغيرهما يبالغون في تحقيق ذلك بما يتم به المقصود .

وقد روى أبو الشيخ الأصبهاني أن عمر رضي الله عنه كتب أن لا تكاتبوا أهل الذمة فتجري بينكم وبينهم المودة ، ولا تكنوهم وأذلوهم ولا تظلموهم ، ثم قال : ومن جملة

الشروط ، ما يعود باخفاء منكرات دينهم وترك إظهارها ، ومنها ما يعود بإخفاء شعار دينهم ، فاتفق عمر رضي الله عنه والمسلمون معه وسائر العلماء وبعدهم من وفقه الله عز وجل ، من ولاة الأمر على منعهم من أن يظهروا في الإسلام شيئاً مما يختصون به مبالغة في أن لا يظهر في دار الإسلام خصائص المشركين ، فكيف إذا عملها المسلمون وأظهروها ، ومنها ما يعود بترك إكرامهم وإلزامهم الصغار الذي شرعه الله تعالى ، ومن المعلوم أن تعظيم أعيادهم ونحوها بالموافقة فيها نوع من أنواع إكرامهم فإنهم يفرحون بذلك ، ويسرون به كما يغتمون بإهمال أمر دينهم الباطل .

قال شيخ الإسلام أيضاً : وقال تعالى ﴿إن الذين فرقوا دينهم وكانوا شيعا لست منهم في شيء ﴾[1] وذلك يقتضي تبريه منهم في جميع الأشياء ، ومن تابع غيره في بعض أموره فهو منه في ذلك الأمر ، لأن قول القائل أنا من هذا ، وهذا مني ، أي أنا من نوعه وهو من نوعي ، لأن الشخصين لا يتحدان إلا بالنوع ، كما في قوله : ﴿ بعضهم من بعض ﴾ ، وقوله عليه السلام لعلي : أنت مني وأنا منك ، وقول القائل لست من هذا في شيء ، أنا متبرىء من جميع أموره ، وإذا كان الله ورسوله قد برىء من جميع أمورهم ، فمن كان متابعاً لرسوله ﷺ حقيقة

(١) سورة الأنعام ، الآية : ١٥٩ .

كان متبرئاً لتبريه ، ومن كان موافقهم كان مخالفاً للرسول ﷺ ، بقدر موافقته ، فإنَّ الشخصين المختلفين من كل وجه كل ما شابهه أحدهما خالفه الآخر .

وقال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء﴾ الآية ، وقال تعالى : ﴿ ألم تر إلى الذين تولوا قوماً غضب الله عليهم ما هم منكم ولا منهم ﴾[1]، يعيب بذلك المنافقين الذين تولوا اليهود ، إلى قوله : ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر ﴾[2]، إلى آخر السورة ، وقال تعالى : ﴿ والذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض ﴾[3] إلى آخر السورة .

فعقد سبحانه وتعالى الموالاة بين المهاجرين والأنصار ، وبين من آمن منهم وهاجر وجاهد إلى يوم القيامة ، والمهاجر من هجر ما نهى الله عنه ، والجهاد باق إلى يوم القيامة ، وقال تعالى : ﴿ إنما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا ﴾[4] الآيتين ، ونظائر هذا في غير موضع من القرآن يأمركم سبحانه بموالاة المؤمنين حقاً الذين هم حزبه وجنده ، ويخبر أن هؤلاء لا

---

(١) سورة المجادلة ، الآية : ١٤ .

(٢) سورة المجادلة ، الآية : ٢٢ .

(٣) سورة الأنفال ، الآية : ٧٤ .

(٤) سورة المائدة ، الآية : ٥٥ .

يوالون الكفّار ، ولا يوادونهم ، والموالاة والمودة وإن كانت متعلقة بالقلب لكن المخالفة في الظاهر أعود على مقاطعة الكافرين ، ومباينتهم مشاركتهم في الظاهر ، إن لم تكن ذريعة أو سبباً قريباً أو بعيداً إلى نوع ، أما الموالاة والمودة فليس فيها مصلحة المقاطعة والمباينة ، مع أنها تدعو إلى نوع ما من المواصلة ، كما تحب الطبيعة ، وتدل عليه العادة ، ولهذا كان السلف رضي الله عنهم يستدلون بهذه الآيات ، على ترك الاستعانة بهم في الولايات . فروى الإمام أحمد بإسناد صحيح عن أبي موسى رضي الله عنه ، قال : قلت لعمر رضي الله عنه إن لي كاتباً نصرانياً قال لي مالك : قاتلك الله ، أما سمعت الله يقول : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء ﴾[1] ، ألا اتخذت حنيفاً ، قال : قلت يا أمير المؤمنين لي كتابته ، وله دينه ، قال : لا أكرمهم إذا أهانهم الله ، ولا أعزهم إذا أذلهم الله ، ولا أدنيهم إذا أقصاهم الله ، وكما دل عليه معنى الكتاب ، جاءت سنة رسول الله ﷺ ، وسنّة خلفائه الراشدين التي أجمع الفقهاء عليها ، بمخالفتهم وترك التشبه بهم .

ففي الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ ، إن اليهود والنصارى لا يصبغون فخالفوهم ،

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥١ .

أمر بمخالفتهم وذلك يقتضي أن يكون جنس مخالفتهم أمراً مقصوداً للشارع لأنه إن كان الأمر بجنس المخالفة حصل المقصود ، وإن كان الأمر بالمخالفة في الشعر فقط فهو لأجل ما فيه من المخالفة ، فالمخالفة إما علة مفردة ، أو علة أخرى أو بعض علة ، وعلى التقديرات تكون مأموراً بها مطلوبة من الشارع ، قال تعالى : ﴿ والذين لا يشهدون الزور ﴾ ، قال الضحاك : الزور عيد المشركين ، رواه أبو الشيخ بإسناده ، وبإسناده عنه الزور كلام الشرك وبإسناده عن مرة لا يمالون أهل الشرك على شركهم ولا يخالطونهم ، وبإسناده عن عطاء بن يسار قال : قال عمر : إياكم ورطانة الأعاجم وأن تدخلوا على المشركين يوم عيدهم في كنائسهم ، وقول هؤلاء التابعين ، إنه أعياد الكفّار ليس مخالفاً لقول بعضهم ، إنه شرك أو صنم كان في الجاهلية ، ولقول بعضهم ، إنه مجالس الخنا ، وقول بعضهم إنه الغنا ، لأن عادة السلف في تسعرهم هكذا يذكر الرجل نوعاً من أنواع المسمى لحاجة المستمع إليه ، أو للتنبيه على الجنس .

ووجه تفسير التابعين تارة بما يظهر حسنه لشبهة أو لشهوة فالشرك ونحوه يظهر حسنه لشبهة ، والغنى ونحوه يظهر حسنه لشهوة وأما أعياد المشركين فجمعت الشبهة والشهوة ، وهي باطلة إذ لا منفعة فيها في الدين ، وما فيها من اللذة العاجلة فعاقبتها إلى ألم ، فصارت زوراً وشهودها محضوراً ، وإذا كان

الله قد مدح ترك شهودها الـذي هو مجـرد الحضـور برؤية أو سماع ، فكيف بالموافقة بما يزيد على ذلك من العمل الذي هو عمل الزور ، لا مجرد شهوده .

واعلم أنا لو لم نعلم من موافقتهم إلا ما قد أفضت إلى هذه القبائح ووافقت الطباع عليه ، استُـدِل أن بأصـول الشريعـة يوجب النهي عن هذه الذريعة ، فكيف وقد رأينا من المنكرات التي أفضت إليها المشابهة ، ما قد يوجب الخروج عن الإسلام بالكلية .

وسر هذا أن المشابهة تفضي إلى كفر أو معصية غالباً أو تفضي إليهما في الجملة ، وما أفضى إلى ذلك كان محرماً ، فهذا بعض ما جاء من الأدلة في النهي ، عن مشابهة المشركين والكفّـار ، ولكن رحم الله من تنبه لسر الذي سبق الكلام لأجله وهو أن المشابهة في الظاهر . إنما نهي عنها لأنها تورث نوع مودة وموالاة في الباطن ، وتفضي أيضاً إلى كفر أو معصية ، وهذا هو السبب في تحريمها والنهي عنهما ، فإذا علمت ذلك وتبين لك ما وقع فيه كثير من الناس أو أكثرهم من موالاة الكفّار والمشركين التي إنما نهي عن هذه الأمور خوفاً من الوقوع فيها ، تبين لك أنهم وقعوا في نفس المحذور ، وتوسطوا مفازة المهلكة ، والله الهـادي إلى سواء الصراط .

فصل

في ذكر جوابات عن إيرادات أوردها بعض المسلمـين على

أولاد شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب ، فأجابوا عنها رحمهم الله وعفى عنهم ، فمن ذلك :

ما قولكم في رجل دخل هذا الدين وأحبه ، لكن لا يعادي المشركين أو عاداهم ولم يكفرهم ، أو قال أنا مسلم ولكن ما أقدر أكفر أهل لا إله إلا الله ، ولو لم يعرفوا معناها .

ورجل دخل هذا الدين وأحبه ولكن يقول لا أتعرض القباب ، وأعلم أنها لا تنفع ولا تضر ولكن لا أتعرضها .

فالجواب : أن الرجل لا يكون مسلماً إلا إذا عرف التوحيد ودان به وعمل بموجبه وصدّق الرسول ﷺ فيما أخبر به وأطاعه فيما نهى عنه وأمر به ، وآمن به وبما جاء به ، فمن قال لا أعادي المشركين أو عاداهم ولم يكفرهم أو قال لا أتعرض أهل لا إله إلا الله ، ولو فعلوا الكفر والشرك وعادوا دين الله ، أو قال لا أتعرض القباب ، فهذا لا يكون مسلماً ، بل هو ممن قال فيهم : ﴿ ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلاً ، أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً ﴾[1] .

والله سبحانه وتعالى أوجب معاداة المشركين ومنابذتهم ، وتكفيرهم فقال : ﴿ لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر

---

(١) سورة النساء ، الآية : ١٥٠ .

يوادون من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم﴾ وقال تعالى : ﴿ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾[1] ، وقال تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا عدوي وعدوكم أولياء تلقون إليهم بالمودة وقد كفروا بما جاءكم من الحق يخرجون الرسول﴾[2] ، الآيات والله أعلم .

نقل من جواب الشيخ حسين بن الشيخ محمد بن عبدالوهاب وأخيه عبدالله ، وفي أجوبة أخرى ، ما قولكم في الموالاة والمعاداة ، هل هي من معنى لا إله إلا الله ، أو من لوازمها ؟

الجواب : أن يقال والله أعلم ، حسب المسلم أن يعلم أن الله افترض عليه عداوة المشركين ، وعدم موالاتهم وأوجب عليهم محبة المؤمنين وموالاتهم ، وأخبر أن ذلك من شروط الإيمان ، ونفي الإيمان عن من يواد من حاد الله ورسوله ولو كانوا آباءهم أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم .

وأما كون ذلك من معنى لا إله إلا الله أو من لوازمها ، فلم يكلفنا الله بالبحث عن ذلك ، وإنما كلفنا بمعرفة أن الله فرض ذلك وأوجبه ، وأوجب العمل به فهذا الفرض والحتم الذي لا

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥١ .

(٢) سورة الممتحنة ، الآية : ١ .

شك فيه ، ومن عرف أن ذلك من معناها أو من لوازمها فهو حسن وزيادة خير ، ومن لم يعرف فلم يكلف بمعرفته لا سيما إذا كان الجدال في ذلك والمنازعة فيه مما يفضي إلى شر واختلاف ، ووقوع فرقة بين المؤمنين الذين قاموا بواجبات الإيمان ، وجاهدوا في الله وعادوا المشركين ، ووالوا المسلمين ، والسكوت على ذلك متعين ، وهذا ما ظهر لي على أن الاختلاف قريب من جهة المعنى والله أعلم .

فهذا بعض الأدلة على وجوب مقاطعة الكفّار والمشركين وهي المسألة الأولى .

وأما المسألة الثانية ، وهي الأشياء التي يصير بها المسلم مرتداً فأحدها الشرك بالله تعالى ، وهو أن يجعل لله نداً من مخلوقاته يدعى كما يدعى الله ، ويخاف كما يخاف الله ، أو يتوكل عليه كما يتوكل على الله أو يصرف له شيئاً من عبادات ، فإذا فعل ذلك كفر وخرج من الإسلام ، وإن صام النهار وقام الليل ، والدليل على ذلك ، قول الله تعالى : ﴿ وإذا مسّ الإنسان ضرّ دعا ربه منيباً إليه ثم إذا خوله نعمة منه نسي ما كان يدعو إليه من قبل ، وجعل لله أنداداً ليضل عن سبيله ، قل تمتع بكفرك قليلاً إنك من أصحاب النار ﴾[1] ، وقوله تعالى : ﴿ ومن يدْعُ مع الله إلهاً آخر لا برهان له به فإنما حسابه عند ربه إنه لا يفلح

---

(١) سورة الزمر ، الآية : ٤٩ .

الكافرون ﴾[1] ، وغير ذلك من الآيات الدالة على أن من أشرك مع الله تعالى في عبادته مخلوقاً من المخلوقين فقد كفر وخرج من الإسلام وحبطت أعماله ، كما قال تعالى : ﴿ ولو أشركوا لحبط عنهم ما كانوا يعملون ﴾[2] .

الثاني : إظهار الطاعة والموافقة للمشركين على دينهم ، والدليل قوله تعالى : ﴿ إن الذين ارتدوا على أدبارهم من بعد ما تبين لهم الهدى ، الشيطان سَوَّل لهم وأملا لهم ، ذلك بأنهم قالوا للذين كرهوا ما أنزل الله ، سنطيعكم في بعض الأمر والله يعلم إسرارهم ، فكيف إذا توفتهم الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم، وذلك بأنهم اتبعوا ما أسخط الله وكرهوا رضوانه فأحبط أعمالهم ﴾[3] .

وذكر الفقيه سليمان بن الشيخ عبدالله بن محمد بن عبدالوهاب في هذه المسألة عشرين آية من كتاب الله ، وحديث عن رسول الله ﷺ ، استدل بها أن المسلم إذا أظهر الطاعة والموافقة للمشركين من غير إكراه ، أنه يكون بذلك مرتداً خارجاً من دين الإسلام وإن كان يشهد أن لا إله إلا الله ، ويفعل الأركان الخمسة أن ذلك لا ينفعه ، وقال شيخ الإسلام

---

(١) سورة المؤمنون ، الآية : ١١٧ .

(٢) سورة الأنعام ، الآية : ٨٨ .

(٣) سورة محمد ، الآية : ٢٥ .

المذكور ، إمام هذه الدعوة الحنيفية في كلامه على آخر سورة الزمر .

الثانية : أن المسلم إذا أطاع من أشار عليه في الظاهر كفر ولو كان باطنه يعتقد الإيمان ، فإنهم لم يريدوا من النبي ﷺ تغيير عقيدته ، ففيه بيان لما يكثر وقوعه ممن ينتسب إلى الإسلام في إظهار الموافقة للمشركين خوفاً منهم ويظن أنه لا يكفر إذا كان قلبه كارهاً له إلى أن قال .

الثالثة : أن الذي يكفر به المسلم ليس هو عقيدة القلب خاصة ، فإن هؤلاء الذين ذكرهم الله لم يريدوا منه ﷺ تغيير العقيدة ، كما تقدم بل إذا أطاع المسلم من أشار عليه بموافقتهم لأجل ماله أو بلده أو أهله مع كونه يعرف كفرهم ويبغضهم فهذا كافر لا من أكره إلى أن قال ، ولكن رحم الله من تنبه لسر الكلام ، وهو المعنى الذي نزلت فيه هذه الآيات ، من كون المسلم يوافقهم في شيء من دينهم الظاهر ، مع كون القلب بخلاف ذلك فإن هذا هو الذي أرادوا من النبي ﷺ فأفهمه فهماً حسناً لعلك تعرف شيئاً من دين إبراهيم عليه السلام وقد بادا أباه وقومه بالعداوة عنده ، وقال في سورة الكهف التاسعة المسألة المشكلة على أكثر الناس ، أنه إذا وافقهم بلسانه مع كونه مؤمناً حقاً ، كارهاً لموافقتهم ، فقد كذب في قول لا إله إلا الله ، واتخذ إلهين اثنين ، وما أكثر الجهل بهذه والتي قبلها ، العاشرة أنه لو يصدره منهم أعني موافقة الحاكم فيما أراد من

ظاهرهم مع كراهتهم لذلك ، فهوقوله شطط والشطط الكفر .

واعلم أن إظهار الموافقة والطاعة للمشركين له أحوال ستأتي في المسألة الثالثة إن شاء الله تعالى .

(الأمر الثالث) : مما يصير به المسلم مرتداً من موالاة المشركين ، والدليل قوله تعالى : ﴿ يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فانه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين﴾[1] ، وقوله تعالى : ﴿ لا يتخذ المؤمنون الكافرين أولياء من دون المؤمنين ومن يفعل ذلك فليس من الله في شيء ﴾[2] ، فذكر في الآية الأولى أن من تولى اليهود والنصارى فهو منهم ، وظاهره أن من تولاهم فهو كافر مثلهم ، ذكر معناه شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى .

وقد تقدم قول عبدالله بن عتبة عند قوله : ﴿ ومن يتولهم منكم فانه منهم ﴾ ، ليتق أحدكم أن يكون يهودياً أو نصرانياً وهو لا يشعر .

وقال ابن جرير في قوله : ﴿ فليس من الله في شيء ﴾ ، يعني فقد برىء من الله وبرىء الله منه لارتداده عن دينه ، وأما قوله : ﴿ إلا أن تتقوا منهم تقاةً ﴾[3] فهي كقوله : ﴿ إلا من

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥١ .

(٢) سورة آل عمران ، الآية : ٢٨ .

(٣) سورة آل عمران ، الآية : ٢٨ .

أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾[1] ، وسيأتي ذلك إن شاء تعالى .

(الأمر الرابع) : الجلوس عند المشركين في مجال شركهم من غير إنكار ، والدليل قوله تعالى : ﴿ وقد نزل عليكم في الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله يكفر بها ويستهزؤ بها فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا في حديث غيره إنكم إذاً مثلهم ، إن الله جامع المنافقين والكافرين في جهنم جميعاً ﴾[2] .

وفي أجوبة آل الشيخ رحمهم الله تعالى لما سئلوا عن هذه الآية وعن قوله ﷺ : من جامع المشرك أو سكن معه فهو مثله ، قالوا الجواب أن الآية على ظاهرها ، أن الرجل إذا سمع آيات الله يكفر بها ويستهزؤ بها ، فجلس عند الكافرين المستهزئين بآيات الله من غير إكراه ولا إنكار ولا قيام عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره ، فهو كافر مثلهم ، وإن لم يفعل فعلهم ، لأن ذلك يتضمن الرضاء بالكفر ، والرضى بالكفر كفر ، وبهذه الآية ونحوها استدل العلماء على أن الرضى بالذنب كفاعله ، فان ادعى أنه يكره ذلك بقلبه لم يقبل منه لأن الحكم بالظاهر ، وهو قد أظهر الكفر ، فيكون كافراً .

ولهذا لما وقعت الردة وادعى الناس منهم كرهوا ذلك لم يقبل منهم الصحابة بل جعلوهم كلهم مرتدين إلا من أنكر

---

(١) سورة النمل ، الآية : ١٠٦ .

(٢) سورة النساء الآية ١٤٠ .

بلسانه ، وكذلك قوله في الحديث من جامع المشرك وسكن معه فهو مثله على ظاهره ، وهو أن الذي يدعي الإسلام ويكون مع المشركين في الإجتماع والنصرة والمنـزل بحيث يعـده المشركون منهم فهو كافر مثلهم وإن ادعى الإسلام ، إلا أن يكون يظهر دينه ، ولا يتولى المشركين . انتهى .

قلت ويأتي مخاطبة خالد لمجاعة وفيه ، يا مجاعة تركت اليوم ما كنت عليه أمس ، وكان رضـاك بأمـر هذا الـكذاب ، وسكوتك عنه إقراراً ، إلى آخره .

وتقدم قول عبدالله بن عمر ، من بنى ببلاد المشركين فصنع نيروزهم ومهرجانهم ، وتشبه بهم حتى يموت حشر معهم يوم القيامة ، وقال تعالى : ﴿ ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ، ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا على الآخرة وإن الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾[١] .

(الأمر الخامس) : الاستهزاء بالله أو بكتابه أو برسولـه ، والدليل على ذلك قوله تعالى : ﴿ قل أبالله وآياته ورسوله كنتم تستهزئون ، لا تعتذروا قد كفرتم بعـد إيمانـكم إن نعف عن طائفة منكم ، نعذب طائفة بأنهم كانوا مجرمين ﴾[٢] .

واعلـم أن الاستهـزاء على نوعـين ، أحـدهما الاستهـزاء

---

(١) سورة النحل الآية : ١٠٦

(٢) سورة التوبة ، الآية : ٦٥ .

الصريح ، كالذي نزلت الآية فيه ، وهو قولهم ما رأينا مثل قرائنا هؤلاء أرغب بطوناً ولا أكذب ألسناً ، ولا أجبن عند اللقا أو نحو ذلك من أقوال المستهزئين ، كقول بعضهم ، دينكم هذا دين خامس ، وقول الآخر دينكم أخرق ، وقول الاخر ، إذا رأى الآمرين بالمعروف والناهين عن المنكر ، جاءكم أهل الديك بالكاف بدل النون ، وقول الآخر إذا رأى طلبة العلم هؤلاء الطلْبة ، بسكون اللام وما أشبه ذلك ، مما لا يحصى إلا بكلفة مما هو أعظم من قول الذين نزلت فيهم الآية .

النوع الثاني غير الصريح ، وهو البحر الذي لا ساحل له ، مثل الرمز بالعين وإخراج اللسان ومد الشفة والغمزة باليد ، عند تلاوة كتاب الله أو سنة رسول الله ﷺ ، أو عند الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر .

(الأمر السادس) : ظهور الكراهية والغضب عند الدعوة إلى الله وتلاوة كتابه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، والدليل على ذلك ، قول الله تعالى : ﴿ وإذا تتلى عليهم آياتنا بيِّنات تعرف في وجوه الذين كفروا المنكر يكادون يسطون بالذين يتلون عليهم آياتنا قل أفأنبئكم بشر من ذلكم النار وعدها الله الذين كفروا وبئس المصير﴾ فبين الله ذكر هذا الصنف في أول هذه الآية وآخرها .

(الأمر السابع) : كراهة ما أنزل الله على رسوله من الكتاب والحكمة والدليل قول الله تعالى : ﴿ ذلك بأنهم كرهوا ما أنزل

الله فأحبط أعمالهم ﴾ .

(الأمر الثامن) : عدم الإقرار بما دلت عليه آيات القرآن ، والأحاديث والمجادلة في ذلك والدليل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ ما يجادل في آيات الله إلا الذين كفروا فلا يغررك تقلبهم في البلاد ﴾[١] .

(**الأمر التاسع**): جحد الناس شيئاً من كتاب الله ولو آية أو بعضها أو شيئاً مما جاء عن النبيﷺ ، والدليل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ إن الذين يكفرون بالله ورسله ويريدون أن يفرقوا بين الله ورسله ويقولون نؤمن ببعض ونكفر ببعض ويريدون أن يتخذوا بين ذلك سبيلا ، أولئك هم الكافرون حقاً وأعتدنا للكافرين عذاباً مهيناً﴾[٢] ، وهذا أخص من الذي قبله .

(الأمر العاشر) : الإعراض عن تعلم دين الله والغفلة عن ذلك والدليل قول الله تعالى : ﴿ والذين كفروا عما أنذروا معرضون ﴾[٣] .

(الأمر الحادي عشر) : كراهة إقامة الدين والاجتماع عليه والدليل على ذلك قول الله تعالى : ﴿ شرع لكم من الدين ما

---

(١) سورة غافر ، الآية : ٤ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ١٥٠ .

(٣) سورة الأحقاف ، الآية : ٣ .

وصّى به نوحاً ، والذي أوحينا إليك وما وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى ، أن أقيموا الدين ولا تتفرقوا فيه ، كبُرَ على المشركين ما تدعوهم إليه ، الله يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب ﴾[1]، فذكر أنه لا يكره إقامة. الدين إلا مشرك ، وقد تبين أن من أشرك بالله فهو كافر .

(الأمر الثاني عشر) : السحر تعلمه وتعليمه والعمل بموجبه والدليل ، قول الله تعالى : ﴿ وما يعلمان من أحد حتى يقولا إنما نحن فتنة فلا تكفر ﴾[2] .

(الأمر الثالث عشر) : إنكار البعث والدليل قول الله تعالى : ﴿ وإن تعجب فعجب قولهم أئذا كنا تراباً أئنا لفي خلق جديد أولئك الذين كفروا بربهم ﴾[3]، إلى قوله ﴿ خالدون ﴾ .

(الأمر الرابع عشر): التحاكم إلى غير كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ ، قال ابن كثير ، كما كان أهل الجاهلية يحكمون به من الجهالات والضلالات ، وكما يحكم به التتار من السياسات المأخوذة عن (جنكسخان) ، الذي وضع لهم كتاباً مجموعاً من أحكام اقتبسها من شرائع شتى ، فصار في بيته يقدمونه على الحكم بالكتاب والسنّة ، ومن فعل ذلك فهو كافر يجب قتاله

---

(١) سورة الشورى ، الآية : ١٣ .

(٢) سورة البقرة ، الآية : ١٠٢ .

(٣) سورة الرعد ، الآية : ٥ .

حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله ، فلا يحكم سواه فى قليل ولا كثير .

قال تعالى : ﴿ أفحكمَ الجاهلية يبغون ومن أحسن من الله حكماً لقوم يؤمنون ﴾[1] ، قلت ومثل هؤلاء ما وقع فيه عامة البوادي ومن شابههم من تحكيم عادات آبائهم ، وضعة أوائلهم من الموضوعات الملعونة التي يسمونها شرع الرفاقة ، يقدمونها على كتاب الله وسنة رسوله ، ومن فعل ذلك فإنه كافر يجب قتاله حتى يرجع إلى حكم الله ورسوله .

قال شيخ الاسلام ابن تيمية ، ولا ريب أن من لم يعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله على رسوله فهو كافر ، فمن استحل أن يحكم بين الناس بما يراه هو عدلاً من غير اتباع لما أنزل الله فهو كافر ، فانه ما من أمّة إلا وهي تأمر بالحكم بالعدل ، وقد يكون العدل في دينها ما رآه أكابرهم ، بل كثير من المتسببين إلى الإسلام يحكمون بعاداتهم التي لم ينزلها الله كسواليف البادية ، وكان أوامر المطاعين ، ويرون أن هذا هو الذي ينبغي الحكم به دون الكتاب والسنّة ، وهذا هو الكفر ، فان كثيراً من الناس أسلموا ، ولكن لا يحكمون إلا بالعادات الجارية التي يأمر بها المطاعون ، فهؤلاء إذا عرفوا أنه لا يجوز لهم الحكم إلا بما أنزل الله ، فلم يلتزموا ذلك بل استحلوا ان يحكموا بخلاف

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٥٠ .

ما أنزل الله فهم كفّار انتهى . من منهاج السنَّة النبوية ذكره عند قوله سبحانه وتعالى : ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾[1] ، فرحمه الله وعفى عنه .

فهذه بعض المواضيع التي دل القرآن عليها ، وإن كان قد يقال أن بعضها يغني عن بعض أو يندرج فيه ، فذكرها على هذا الوجه أوضح ، وأما كلام العلماء رحمهم الله تعالى فكثير جداً . وقد ذكر صاحب الإقناع أشياء كثيرة في باب حكم المرتد ، وهو الذي يكفر بعد إسلامه ، وقد لخصت منه مواضيع يسيرة ، فمن ذلك قوله : قال الشيخ أو كان مبغضاً لرسوله أو لما جاء به كفر اتفاقاً ، ومنها قوله : أو جعل له بينه وبين الله وسائط يتوكل عليهم ويسألهم ، كفر إجماعاً ، ومنه قوله : أو وجد منه امتهان للقرآن أي فيكفر بذلك ، ومنها قوله : أو سخر بوعد الله أو وعيده أي فيكفر بذلك ، ومنها قوله : أولم يكفر من دان بغير الإسلام أو شك في كفرهم أي فيكفر بذلك ، ومنها قوله : قال الشيخ ومن استحل الحشيشة كفر ، قلت : من استحل أموال المشركين ومظاهرتهم وإعانتهم على المسلمين فكفره أعظم من كفر هذا ، لأن تحريم ذلك آكد وأشد من تحريم الحشيشة ، ومنها قوله : ومن سب الصحابة أو واحداً منهم واقترن سبّه دعوى أن عليًّا إله أو نبي

---

(١) سورة المائدة ، الآية : ٤٤ .

أو أن جبرائيل غلط فلا شك في كفر هذا بلا شك في كفر من توقف في تكفيره ، ومنها قوله أو زعم أن للقرآن تأويلات باطلة تسقط الأعمال المشروعة ، ونحو ذلك فلا خوف في كفر هؤلاء ، ومنها **قوله** : أو زعم الصحابة ارتدوا بعد رسول الله ﷺ إلا نفراً قليلاً لا يبلغون بضعة عشر ، أو أنهم فسقوا فلا ريب أيضاً في كفر قائل ذلك ، بل من شك في كفره فهو كافر . انتهى ملخصاً وعزاه الصارم المسلول .

ومنها **قوله** : ومن أنكر أن أبا بكر صاحب رسول الله ﷺ فقد كفر ، لقوله تعالى : ﴿ إذ يقول لصاحبه لا تحزن ﴾[1] .

قلت فإذا كان من جحد مدلول آية كفر ، ولم تنفعه الشهادتان ، ولا الإنتساب إلى الإسلام ، فما الظن بمن جحد مدلول ثلاثين آية أو أربعين ، أفلا يكون كافراً لا تنفعه الشهادتان ولا ادّعاء الإسلام بلى والله بلى والله ، ولكن نعوذ بالله من رين القلوب ، وهوى النفوس الذين يصدون عن معرفة الحق واتباعه .

ومنها **قوله** : أو جحد حل الخبز أو اللحم أو الماء أي فيكفر بذلك ، ومنها **قوله** : أو أحل الزنا ونحوه أي فيكفر بذلك ،

---

(١) سورة التوبة ، الآية : ٤٠ .

ومن أحل الركون إلى الكافرين ، وموادة المشركين ، فهو أعظم كفراً ممن أحل الزنا بأضعاف مضاعفة ، وكلام العلماء رحمهم الله تعالى في هذا الباب لا يمكن حصره ، حتى أن بعضهم ذكر أشياء أسهل من هذه الأمور ، وحكموا على مرتكبها بالارتداد عن الإسلام وأنه يستتاب منها ، فان تاب وإلا قتل مرتداً ، ولم يغسل ولم يصلّ عليه ولم يدفن مع المسلمين ، وهو مع ذلك يقول لا إله إلا الله ، ويفعل الأركان الخمسة ، ومن له أدنى نظر واطلاع على كلام أهل العلم فلا بد أن يكون قد بلغه بعض ذلك .

وأما هذه الأمور التي تقع في هذه الأزمان من المنتسبين إلى الإسلام ، بل من كثير ممن ينتسب إلى العلم ، فهي من قواصم الظهور ، وأكثرها أعظم وأفحش مما ذكره العلماء من المكفرات ، ولولا ظهور الجهل وخفاء العلم وغلبة الأهواء لما كان أكثرها محتاجاً لمن ينبه عليه .

فصل

وأما المسألة الثالثة وهي ما يعذر الرجل به على موافقة المشركين ، وإظهار الطاعة لهم ، فاعلم أن إظهار الموافقة للمشركين له ثلاث حالات :

الحاله الأولى : أن يوافقهم في الظاهر والباطن ، فينقاد لهم بظاهره ويميل إليهم ويوادهم بباطنه ، فهذا كافر خارج من الإسلام ، سواء أكان مكرهاً على ذلك أو لم يكن مكرهاً ، وهو

ممن قال الله فيه : ﴿ ولكن من شرح بالكفر صدراً فعليهم غضب من الله ولهم عذاب عظيم ﴾ .

الحالة الثانية : أن يوافقهم ويميل اليهم في الباطن ، مع مخالفتهم في الظاهر ، فهذا كافر أيضاً ، ولكن إذا عمل بالإسلام ظاهراً عصم ماله ودمه وهو المنافق .

الحالة الثالثة : أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن ، وهو من وجهين ، أحدهما أن يفعل ذلك لكونه في سلطانهم مع ضربهم وتقييدهم له ، ويتهددونه بالقتل فيقولون له إما أن توافقنا وتظهر الانقياد لنا وإلا قتلناك ، فإنه والحالة هذه يجوز له موافقتهم في الظاهر مع كون قلبه مطمئناً بالإيمان ، كما جرى لعمار حين أنزل الله تعالى : ﴿ من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ﴾[1] ، وكما قال تعالى : ﴿ إلا أن تتقوا منهم تقاة ﴾ ، فالآيتان دلتا على الحكم ، كما نبّه على ذلك ابن كثير في تفسير آية آل عمران .

الوجه الثاني : أن يوافقهم في الظاهر مع مخالفته لهم في الباطن ، وهو ليس في سلطانهم ، وإنما حمله على ذلك إما طمع في رئاسة أو مال أو مشحة بوطنٍ أو عيالٍ أو خوف مما يحدث في المال ، فإنه في هذه الحال يكون مرتداً ولا تنفعه كراهته لهم في الباطن ، وهو ممن قال الله فيهم : ﴿ ذلك بأنهم استحبوا الحياة

---

(١) سورة النمل ، الآية : ١٠٦ .

الدنيا على الآخرة وإن الله لا يهدي القوم الكافرين ﴾[1] فأخبر أنه لم يحملهم على الكفر الجهل أو بغضه ، ولا محبة الباطل ، وإنما هو أن لهم حظاً من حظوظ الدنيا فآثروه على الدين ، هذا معنى كلام شيخ الإسلام محمد بن عبدالوهاب رحمه الله تعالى وعفا عنه ، وأما ما يعتقده كثير من الناس عذراً ، فإنه من تزيين الشيطان وتسويله ، وذلك أن بعضهم إذا خوفه أولياء الشيطان خوفاً لا حقيقة له ظن أنه يجوز له بذلك إظهار الموافقة للمشركين ، والانقياد لهم ، وآخر منهم إذا زين له الشيطان طمعاً دنيوياً تخيل أنه يجوز له موافقته للمشركين ، لأجل ذلك وشبه على الجهال بأنه مكروه ، وقد ذكر العلماء صفة الإكراه .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى : تأملت المذاهب فوجدت الإكراه يختلف باختلاف المكره ، فليس المعتبر في كلمات الكفر كالإكراه المعتبر في الهبة ونحوها ، فان أحمد قد نص في موضع على أن الإكراه على الكفر لا يكون إلا بالتعذيب من ضرب أو قيد ، ولا يكون الكلام إكراهاً ، وقد نص على أن المرأة لو وهبت زوجها صداقها بمسكنه فلها أن ترجع على أنها لا تهب له إلا إذا خافت أن يطلقها أو يسيء عشرتها ، فجعل خوف الطلاق أو سوء العشرة إكراهاً ، ولفظه في موضع آخر لأنه أكرهها ، ومثل هذا لا يكون إكراهاً على الكفر ، فإن

---

(1) سورة النحل ، الآية : ١٠٧ .

الأسير إن خشي الكفّار أن لا يزوجوه أو أن يحولوا بينه وبين امرأته لم يبح له التكلم بكلمة الكفر انتهى .

والمقصود منه أن الإكراه على كلمة الكفر لا يكون إلا بالتعذيب من ضرب أو قتل ، وأن الكلام لا يكون إكراهاً ، وكذلك الخوف من أن يحول الكفّار بينه وبين زوجته لا يكون إكراهاً ، فإذا علمت ذلك وعرفت ما وقع من كثير من الناس ، تبين لك قول النبي ﷺ ، بدأ الإسلام غريباً وسيعود غريباً كما بدأ ، وقد عاد غريباً وأغرب منه من يعرفه على الحقيقة وبالله التوفيق .

فصل

وأما المسألة الرابعة وهي مسألة إظهار الدين ، فإن كثيراً من الناس قد ظن أنه إذا قدر على أن يتلفظ بالشهادتين وأن يصلي الصلوات الخمس ، ولا يرد عن المسجد فقد أظهر دينه وإن كان مع ذلك بين المشركين أو في أماكن المرتدين ، وقد غلطوا في ذلك أقبح الغلط .

واعلم أن الكفر له أنواع وأقسام تتعدد بتعدد المكفرات وقد تقدم بعض ذلك ، وكل طائفة من طوائف الكفر قد اشتهر عندها نوع منه ، ولا يكون المسلم مظهراً لدينه حتى يخالف كل طائفة بما اشتهر عندها ، ويصرح لها بعداوته ، والبراءة منه فمن كان كفره بالشرك فإظهار الدين عنده التصريح بالتوحيد ، والنهي عن الشرك والتحذير منه ، ومن كان كفره بجحد

الرسالة ، فإظهار الدين عنده التصريح بأن محمداً رسول الله ﷺ ، والدعوة إلى اتباعه ،ومن كان كفره بترك الصلاة فاظهار الدين عنده فعل الصلاة ، والأمر بها ، ومن كان كفره بموالاة المشركين والدخول في طاعتهم فاظهار الدين عنده التصريح بعداوته والبراءة منه ومن المشركين ، وبالجملة فلا يكون مظهراً لدينه إلا من صرح لمن ساكنه من كل كافر ببراءته منه ، وأظهر له عداوته لهذا الشيء الذي صار به كافراً وبراءته منه ، ولهذا قال المشركون لعم النبي صلى الله عليه وسلم : عاب ديننا وسفه أحلامنا وشتم آلهتنا ،وقال الله تعالى : ﴿ قل يا أيها الناس إن كنتم في شك من ديني فلا أعبد الذين تعبدون من دون الله ، ولكن أعبد الله الذي يتوفاكم وأمرت أن أكون من المؤمنين ، وأن أقم وجهك للدين حنيفاً ولا تكونن من المشركين ، ولا تدع من دون الله ما لا ينفعك ولا يضرك فإن فعلت فإنك إذاً من الظالمين ﴾[1] ، فأمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يقول لهم : ﴿ يا أيها الناس ﴾ إلى آخر الآيات ، أي إذا شككتم في الدين الذي أنا عليه فدينكم الذي أنتم عليه أنا بريء منه ، وقد أمرني ربي أن أكون من المؤمنين الذين هم أعداؤكم ونهاني أن أكون من المشركين الذين هم أولياؤكم . وقال تعالى : ﴿ قل يا أيها الكافرون لا أعبد ما تعبدون ولا أنتم عابدون ما أعبد ﴾[2] إلى

---

(١) سورة يونس ، الآية : ١٤٥ .

(٢) سورة الكافرون ، الآية : ١ - ٢ - ٣ .

آخر السورة ، فأمر الله رسوله ﷺ أن يقول للكفار دينكم الذي أنتم عليه أنا بريء منه وديني الذي أنا عليه أنتم برآء منه ، والمراد التصريح لهم بأنهم على الكفر ، وأني بريء منهم ومن دينهم ، فعلى من كان متبعاً للنبي ﷺ أن يقول ذلك ولا يكون مظهراً لدينه إلا بذلك ، ولهذا لما عمل الصحابة بذلك ، وآذاهم المشركون أمرهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالهجرة إلى الحبشة ، ولو وجد لهم رخصة في السكوت عن المشركين لما أمرهم بالهجرة إلى بلد الغربة .

وفي السيرة أن خالد بن الوليد لما وصل إلى الغرض في مسيره إلى أهل اليمامة لما ارتدوا قدم مائتي فارس ، وقال : من أصبتم من الناس فخذوه ، فأخذوا (مجاعة) في ثلاثة وعشرين رجلاً من قومه ، فلما وصل إلى خالد ، قال له : يا خالد ، لقد علمت أني قدمت على رسول الله ﷺ في حياته فبايعته على الإسلام ، وأنا اليوم على ما كنت عليه أمس ، فان يكُ كذاباً قد خرج فينا فإن الله يقول : ﴿ ولا تزر وازرة وزر أخرى ﴾ ، فقال : يا مجاعة ، تركت اليوم ما كنت عليه أمس وكان رضاك بأمر هذا الكذاب وسكوتك عنه ، وأنت أعز أهل اليمامة ، وقد بلغك مسيري إقرار له ورضاء بما جاء به ، فهلا أبيت عذراً ، وتكلمت فيمن تكلم ، فقد تكلم ثمامة فرد وأنكر ، وتكلم اليشكري .

فان قلت أخاف قومي فهلا عمدت إلي أو بعثت إلي

رسولاً ، فقال : إن رأيت يا بن المغيرة أن تعفوعن هذا كله ، فقال قد عفوت عن رمك ، ولـكن في نفسي حرج من تركك انتهى ، وسيأتي في ذكر الهجرة قول أولادالشيخ ، أن الرجل إذا كان في بلد كفر ، وكان يقدر على إظهار دينه حتى يبرأ من أهل الكفر الذي هو بين أظهرهم ويصرح لهم بأنهم كفار وأنه عدو لهم فان لم يحصل ذلك لم يكن إظهار الدين حاصلاً .

فصل

وأما المسألة الخامسة ، وهي مسألة الاستضعاف ، فإن كثيراً من الناس بل أكثر ممن ينتسب إلى العلم في هذه الأزمان ، غلطوا في معنى الاستضعاف ، وما المراد به ، وقد بين الله ذلك في كتابه بياناً شافياً ، فقال تعالى : ﴿ وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً ﴾[1] .

فبين تعالى مقالتهم الدالة على أنهم لم يقيموا مختارين للمقام . وذلك أنهم يدعون الله أن يخرجهم فدل على حرصهم على الخروج ، وأنه متعذر عليهم ويدل على ذلك وصفهم أهل القرية بالظلم ، وسؤالهم ربهم أن يجعل لهم ولياً يتولاهم ويتولونه ، وأن يجعل لهم ناصراً ينصرهم على أعدائهم الذين

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٧٥ .

هم بين أظهرهم ، وقال تعالى : ﴿ إلا المستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ﴾[١] . فذكر في هذه الآية حالتهم التي هم عليها وهي أنهم لا يستطيعون حيلة . قال ابن كثير لا يقدرون على التخلص من أيدي المشركين ، ولو قدروا ما عرفوا يسلكون الطريق ، ولهذا قال لا يستطيعون حيلة . قال عكرمة يعني نهوضاً إلى المدينة ، ولا يهتدون سبيلاً . قال مجاهد وعكرمة يعني طريقاً انتهى .

والحاصل أن المستضعفين هم العاجزون عن الخروج من بين أظهر المشركين ، وهم مع ذلك يقولون : ﴿ ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً ﴾[٢] ، وهم مع ذلك لا يدلون الطريق ، فمن كانت هذه حاله ومقاله ﴿ فأولئك عسى الله أن يعفو عنهم وكان الله غفوراً رحيماً ﴾[٣] .

وأما إذا كان يقدر على الخروج من بلاد المشركين ولم يمنعه من ذلك إلا المشحة بوطنه أو عشيرته أو ماله أو غير ذلك ، فان الله تعالى لم يعذر من تعذر بذلك وسماه ظالماً لنفسه ، فقال

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٩٨ .
(٢) سورة النساء ، الآية ، ٧٥ .
(٣) سورة النساء ، الآية : ٩٩ .

تعالى : ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم قالوا فيم كنتم ، قالوا كنا مستضعَفين في الأرض قالـوا ألم تكن أرض الله واسعـة فتهاجـروا فيهـا فأولـئـك مأواهـم جهنـم وسـاءت مصيراً﴾[1] ، وفي تفسير الجلالين قوله ظالمي أنفسهم بالمقام بين المشركين .

وقال ابن كثير رحمه الله تعالى فهذه الآية عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين وهو قادر على الهجرة وليس متمكنـاً من إقامـة الدين ، فهو مرتكب حراماً بالإجمـاع وبنص الآية حيث يقول : ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ﴾ أي بترك الهجـرة ﴿ قالـوا فيم كنتـم ﴾ أي لم مكثتـم هاهنـا وتركتـم الهجرة ، ﴿ قالوا كنا مستضعَفـين في الأرض قالـوا ألـم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً﴾[2] .

وروى أبو داود عن سمرة بن جنـدب مرفوعـاً من جامـع المشرك وسكن معه فإنه مثله ، وقـال السـدي لما أسر العبـاس وعقيل ونوفل قال رسـول الله ﷺ للعبـاس أفـد نفسـك وبـر أخويك ، قال يا رسول الله ألم نصل قبلتك ونشهد شهادتك ، قال يا عباس إنكم خاصمتم فخصمتم ثم تلى هذه الآية ﴿ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها﴾ الآية ، رواه ابن أبـي حاتم انتهى .

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٩٧ .

(٢) سورة النساء ، الآية : ٩٧ .

والمقصود منه بيان مسألة الاستضعاف وأن المستضعف هو الذي لا يستطيع حيلة ولا يهتدي سبيلاً ، وهو مع ذلك يقول : ﴿ ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها واجعل لنا من لدنك ولياً واجعل لنا من لدنك نصيراً ﴾ [1] ، وبيان أن الذي يعتذر بوطنه أو عشيرته أو ماله ويدعي أنه يكون بذلك مستضعفاً كاذب في دعواه ، وعذره غير مقبول عند الله تعالى ولا عند رسوله ولا عند أهل العلم بشريعة الله .

فصل

وأما المسألة السادسة وهي وجوب الهجرة ، وأنها باقية فالدليل عليه قول النبي ﷺ ، لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التوبة ولا تنقطع التوبة حتى تطلع الشمس من مغربها ، رواه أحمد وأبو داود وروى أبو يعلى عن أزهر بن راشد ، قال : حدث أنس عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال : « لا تستضيئوا بنار المشركين » .

قال ابن كثير : معناه ، لا تقاربوهم في المنازل بحيث تكونوا معهم في بلادهم بل تباعدوا منهم ، وهاجروا من بلادهم ، ولهذا روى أبو داود لا تتراءى نارهما ، وفي الحديث

(١) سورة النساء ، الآية : ٩٥ .

الآخر من جامع المشرك أو سكن معه فهو مثله ، وقال تعالى : ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ، قالوا فيم كنتم قالوا كنا مستضعفين في الأرض قالوا ألم تكن أرض الله واسعة فتهاجروا فيها فأولئك مأواهم جهنم وساءت مصيراً ﴾[1] .

وروى ابن أبي حاتم عن ابن عباس قال : كان قوم من أهل مكة أسلموا ، وكانوا يستخفون بالاسلام ، فأخرجهم المشركون يوم بدر فأحسب بعضهم قتل بعضاً ، فقال المسلمون ، كانوا أصحابنا هؤلاء مسلمين وأكرهوا فاستغفروا لهم ، فنزلت ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ﴾ الآية ، وقال الضحاك : نزلت في أناس من المنافقين تخلفوا عن رسول الله ﷺ وخرجوا مع المشركين يوم بدر فأصيبوا ، ذكره ابن كثير ، ثم قال فهذه الآية عامة في كل من أقام بين ظهراني المشركين ، وهو قادر على الهجرة ، وليس متمكناً من إقامة الدين ، فهو مرتكب حراماً بالإجماع وبنص الآية إلى بيانه في كلامه الذي تقدم قريباً ، وفي أجوبة آل الشيخ لما سئلوا هل يجوز للانسان أن يسافر إلى بلد الكفار لأجل التجارة أم لا .

الجواب : إن كان يقدر على إظهار دينه ، ولا يوالي المشركين ، جاز له ذلك فقد سافر بعض الصحابة كأبي بكر رضي الله عنه وغيره ، ولم ينكر ذلك النبي ﷺ ، كما رواه أحمد

---

(١) سورة النساء ، الآية : ٩٧ .

في مسنده وغيره ، وإن كان لا يقدر على إظهار دينه ولا على عدم موالاتهم ، لم يجز له السفر إلى ديارهم كما نص على ذلك العلماء ، وعليه تحمل الأحاديث التي تدل على النهي عن ذلك ، ولأن الله تعالى أوجب على الإنسان العمل بالتوحيد ، وفرض عليه عداوة المشركين فما كان ذريعة وسبباً إلى إسقاط ذلك لم يجز وأيضاً فقد يجره ذلك إلى موافقتهم ورضاهم ، كما هو الواقع لكثير ممن يسافر إلى بلدان المشركين من فساق المسلمين .

المسألة الثانية : هل يجوز للإنسان أن يجلس في بلد الكفار وشعائر المشركين ظاهرة لأجل التجارة أم لا ؟

الجواب عن هذه المسألة ، والجواب عن التي قبلها سواء ، ولا فرق بين دار الحرب ودار الصلح ، فكل بلد لا يقدر المسلم على إظهار دينه فيها ، لا يجوز السفر إليها .

المسألة الثالثة : هل يفرق بين المدة القريبة مثل شهر أو شهرين ، وبين المدة البعيدة ؟

الجواب : لا فرق بين المدة القريبة والمدة البعيدة ، فكل بلد لا يقدر على إظهار دينه فيها ، ولا على عدم موالاة المشركين ، لا يجوز له المقام فيها ولا يوماً واحداً ، إذا كان يقدر على الخروج منها انتهى .

وفي أجوبة أخرى ، ماقولكم في رجل دخل هذا الدين

وأحبه ويحب من دخل فيه ويبغض الشرك وأهله ، ولكن أهل بلده يصرحون بعداوة الإسلام ويقاتلون أهله ، ويعتذر بأن ترك الوطن يشق عليه ولم يهاجر عنهم بهذه الأعذار فهل سيكون مسلماً هذا أم كافراً ؟

الجواب : أما الرجل الذي عرف التوحيد وآمن به وأحبه وأحب أهله وعرف الشرك وأبغضه وأبغض أهله ، ولكن أهل بلده على الكفر والشرك ولم يهاجر منه فهذا فيه تفصيل ، فإن كان يقدر على إظهار دينه عندهم ، ويتبرأ منهم ومما هم عليه من الدين ، ويظهر لهم كفرهم وعداوته لهم ، ولا يفتنونه عن دينه لأجل عشيرته أو ماله أو غير ذلك ، فهذا لا يحكم بكفره ، ولكنه إذا قدر على الهجرة ولم يهاجر ومات بين أظهر المشركين فنخاف أن يكون قد دخل في أهل هذه الآية ، ﴿ إن الذين توفاهم الملائكة ظالمي أنفسهم ﴾ الآيتين .

فلم يعذر الله إلا من لم يستطع حيلة ولا يهتدون سبيلا .

ولكن قلّ أن يوجد اليوم من هو كذلك بل الغالب أن المشركين لا يدعونه بين أظهرهم بل إما قتلوه وإما أخرجوه .

وأما من ليس له عذر في ترك الهجرة وجلس بين أظهرهم ، وأظهر لهم أنه منهم وأن دينهم حق ودين الإسلام باطل ، فهذا كافر مرتد ، ولو عرف الدين بقلبه لأنه يمنعه عن الهجرة محبة الدنيا عن الآخرة ، وتكلم بكلام الكفر من غير إكراه ، فدخل

في قوله . ﴿ ولكن من شرح بالكفر صدراً ﴾[1] الآيات ، هذا من جواب الشيخ حسين والشيخ عبدالله بن الشيخ محمد عبدالوهاب رحمهم الله تعالى وعفى عنهم .

وكما سئلوا عن أهل بلد بلغتهم هذه الدعوة ، وبعضهم يقول هذا الأمر حق ولا أغير منكراً ولا آمر بمعروف ، وينكر على الموحدين إذا قالوا تبرأنا من دين الآباء والأجداد ، والذي يقول هذا الأمر زين لا يمكنه يقوله جهاراً ، أجابوا بأن أهل هذه القرية المذكورة إذا كانوا قد قامت عليهم الحجة التي يكفر من خالفها حكمه حكم الكفّار ، والمسلم الذين بين أظهرهم ولا يمكنه إظهار دينه تجب عليه الهجرة ، إذا لم يكن ممن عذره الله ، فإن لم يهاجر فحكمه حكمهم في القتل وأخذ المال .

وفي هذه الأجوبة مسائل منها بيان المستضعف ، وأنه من الذين لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً ، وقد تقدم ذلك ، ومنها أن المسلم الذي لم يقدر على إظهار دينه واجبة عليه الهجرة ، وقد تقدم أيضاً ، ومنها صفة إظهار الدين ، وهو أن يصرح للكفّار بكفرهم وعداوته لهم ، ولما هم عليه من الدين ، وقد تقدم أيضاً ، ومنها بيان أنه إذا فعل ذلك أعني صرح لهم بكفرهم وعداوته لهم ، فإنهم لا يتركونه بين أظهرهم ، بل إما قتلوه أو أخرجوه .

---

(١) سورة النمل ، الآية : ١٠٦ .

قلت وقد أخبر الله بذلك عن جميع الكفّار ، فقال تعالى : ﴿ وقال الذين كفروا لرسلهم لنخرجنكم من أرضنا أو لتعودن في ملتنا فأوحى إليهم ربهم لنهلكن الظالمين ، ولنسكننكم الأرض من بعدهم ذلك لمن خاف مقامي وخاف وعيد ﴾[1] ، وقال تعالى إخباراً عن قوم شعيب : ﴿ قال الملأ الذين استكبروا من قومه لنخرجنك يا شعيب والذين آمنوا معك من قريتنا أو لتعودن في ملتنا قال أولو كنا كارهين ﴾[2]؛ وقال تعالى إخباراً عن أصحاب الكهف ﴿ إنهم إن يظهروا عليكم يرجموكم ﴾ الآية . وقوله يرجموكم أي يقتلوكم بالرجم ، وهذا الذي أخبر الله به وأشار إليه أئمة الإسلام وهو الواقع في هذه الأزمان فإن المرتدين بسبب موالاة المشركين والدخول في طاعتهم ، لا يرضون إلا بمن وافقهم على ذلك ، وإذا أنكره عليهم منكرٌ آذوه أشد الأذى وأخرجوه من بين أظهرهم بل سعوا في قتله إن وجدوا إلى ذلك سبيلاً والله المستعان .

***

(١) سورة ابراهيم ، الآية : ١٤ .

(٢) سورة الأعراف ، الآية : ٨٨ .

مجموعة كتب ورسائل

العلامة الشيخ حمد بن علي بن عتيق

رحمه الله

١٢٢٧ - ١٣٠١هـ

١ ـ إبطال التنديد باختصار شرح التوحيد .

٢ ـ سبيل النجاة والفكاك من موالاة المرتدين وأهل الإشراك

٣ ـ الدفاع عن أهل السنة والاتباع .

٤ ـ الفرق المبين بين مذهب السلف وإبن سبعين .

٥ ـ التحذير من السفر إلى بلاد المشركين ووجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر

٦ ـ المراسلات .

٧ ـ المسائل والفتاوى



دار القرآن الكريم

مؤسسة قرآنية

متخصصة بطبع القرآن الكريم ونشر علومه وترجمة معانيه إلى مختلف لغات العالم

طبع بأمر صاحب السمو الملكي

الأمير سلطان بن عبد العزيز

رئيس الهيئة العليا للدعوة الإسلامية

هدية من سموه لطلبة العلم أثابه الله خير الثواب